

الفكر المعماري العربي الإسلامي

البداية - التشكل - التكوين

(القسم الثاني)

د. المهندس بديع العابد

معماري استشاري

نائب رئيس الجمعية الأردنية لتاريخ العلوم

عمان - الأردن

1-2-2- ممارسة الظاهرة

لقد وضحت المصادر الدينية هذا الإطار ضمن خمسة طروحات فكرية: بيئية، واجتماعية، وتقانية، وجمالية، ووظيفية، وسأعرض لها تباعاً.

1-2-1- الطرح البيئي

يتضح هذا الطرح في تسخير عناصر ومكونات البيئة لخدمة الإنسان، لاستئناسها وتطويرها في بيئته المبنية، على اختلاف أنماطها، أي سواء كانت: مسكناً، أو مسجداً، أو مدرسة، أو خلاف ذلك. وتأتي قيمة هذه المنظومة من كون القرآن الكريم سخر عناصر البيئة وسخر نقيضها في البيئة نفسها كوسيلة لتطويعها. فسخر الشمس وسخر الظل نقيضاً لها، وسخر الضوء وسخر الظلمة نقيضاً له، وسخر الليل ونقيضه النهار، وهكذا في باقي عناصر البيئة الأمر الذي حقق نوعاً من التوازن أو التكامل البيئي، أمكن توظيفه داخل البيئة المبنية كما في قوله تعالى ⁽⁷⁰⁾: "وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون". كما عبر القرآن بصورة أكثر وضوحاً وصراحة عن توظيف هذا التوازن أو التكامل البيئي في خدمة الإنسان وبيئته المبنية، كما في قوله تعالى ⁽⁷¹⁾: "والله جعل لكم من بيوتكم سكناً وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين والله جعل لكم مما خلق ظلالاً وجعل

لكم من الجبال أكنائاً وجعل لكم سراييل تقيكم الحر وسراييل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون".

هذه المنظومة البيئية تطورت من مرحلة الطرح المعرفي في القرآن الكريم، إلى مرحلة التقنين في الفقه الإسلامي، ثم إلى مرحلة التنظير في الفكر المعماري، وهذا ما سألينه على مدار هذه الدراسة.

1-2-2- الطرح الاجتماعي

هذا الطرح حددته طبيعة العلاقات داخل الأسرة، وطبيعة العلاقات بين الأسر، فتحددت بذلك مبادئ النظام الاجتماعي للمجتمع المسلم. وسورة النساء خير مثال على تنظيم العلاقات الأسرية. التي تناولها الفقهاء والمفكرون المسلمون بالشرح والتحليل والتشريع والتطبيق. وترجمها المعمارون والبنائون إلى عناصر وفراغات وأشكال معمارية، حققوا من خلالها مفهوم الخصوصية في المساكن والوقاية لأفراد المجتمع، وهذا ما سألينه عندما أعرض للمصادر المعمارية.

1-2-3- الطرح التقاني

تعرفنا من خلال هذا الطرح على مفهوم المتانة، وهو المفهوم المعماري الأقوى حضوراً في الفكر المعماري الإسلامي. فمتانة البنيان وتماسكه، هو النموذج الذي أسقط عليه القرآن الكريم قوة الإيمان، وتماسك بنية المجتمع، كما في قوله تعالى ⁽⁷²⁾: "أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوانٍ خير أم من أسس بنيانه على شفا جرفٍ هارٍ فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين". والمتانة كما وضحها القرآن الكريم، هي مصدر الأمان والطمأنينة، التي بها يتحقق الاستعمال للمباني على اختلاف وظائفها، كما يتضح في قوله تعالى ⁽⁷³⁾: "وكانوا يحتوتون من الجبال بيوتاً آمنين". فالمتانة إذن شرط من شروط الإشغال والاستعمال للمباني، وهذا سيتضح أيضاً في المصادر الأدبية.

4-2-1- الطرح الجمالي

إن مصدر الجمال في القرآن الكريم هو التصوير⁽⁷⁴⁾، والتفكر والتأمل، بخلق الله عز وجل وأن التصوير في القرآن الكريم هو الوسيلة التي عنيت بإبراز المعاني الجمالية في خلق الله. فكانت اللذة الجمالية مصحوبة باستيعاب المضمون، أي طبيعة الأشياء الجميلة، وما يخلق الوعي والشعور عند الناظر. لأن الحسن، أي الجمال، إنما يكون من المعاني الجزئية التي يحويها المنظر، وتماهه وكماله، يتم بالتناسب والإتلاف، الذي يحدث بين المعاني الجزئية. والجمال في القرآن الكريم هو انفعال مع إنتاج وتصوير المبدع، أي الخالق، ناتج عن تفكر وتأمل بنفسية المتلقي أو الناظر.

والتصوير يهدف إلى إبراز المعنى: فهو تربوي في هدفه، نفسي في معالجته، بيئي في عرضه، علمي في أسلوبه، ومنطقي في محتواه، يجمع بين خيال الذهن وواقعية الفكر. ويتم التصوير في القرآن الكريم، بالتعبير بالصورة المحسنة المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية، عن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور. وبالتعبير بالصورة الشاحصة، والحركة المتجددة، مما يرفع درجة التفاعل معها نفسياً وذهنياً. كما يتم التصوير بالتفكر والتأمل. وفي جميع هذه الحالات اعتمد التصوير في القرآن الكريم على استخدام العناصر التالية⁽⁷⁵⁾: اللون والحركة، والإيقاع، والتجسيم والتمثيل الحسي، والشفافية، والترتيب والنظام. وغالباً ما تكون هذه العناصر مجتمعة من خلال الوصف والحوار. ومن الأمثلة على التفكير والتأمل في القرآن الكريم ما ورد في سورة العنكبوت الآية: 41: "مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون". وأيضاً في قوله تعالى في سورة الملك، الآيتان: 3-4: "الذي خلق سبع سموات طباقاً ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور، ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير".

ومن الأمثلة على الحركة والترتيب ما ورد في سورة الفرقان، الآيتان: 45 - 46: "أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا، ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا".

وأما التعبير باللون فقد ورد في سورة البقرة، الآية: 69: "... إِنَّمَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ". وأما التعبير بالشفافية فكما في قوله تعالى في سورة النور، الآية: 35: "اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نَوْرِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مَصْبَاحٌ الْمَصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّي يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مَبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ".

وأما التعبير عن الترتيب والنظام والحركة، فكما في قوله تعالى في سورة يس، الآيات: 38-40: "وَالشَّمْسُ تَحْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ، لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ".

هذه المعاني الجزئية التي وظفها القرآن الكريم في الطرح الجمالي، هي التي أعادت تشكيل مفهوم الجمال في الأدب المعماري، كما سنرى في نظريات الإدراك عند الحسن بن الهيثم عند عرض وتحليل دور المصادر العلمية في تشكيل الفكر المعماري العربي الإسلامي.

1-2-5- الطرح الوظيفي

وهو الطرح الأخير في عملية إعادة تشكيل بداية الفكر المعماري. وقد أفرز هذا الطرح الحديث الشريف، كما في قوله صلى الله عليه وسلم⁽⁷⁶⁾: "كل بناءٍ وبألٍّ على صاحبه يوم القيامة إلا بناءً كفافاً". وهذا المفهوم طبقه النبي صلى الله عليه وسلم، في مسجده بالمدينة، وفي بيوت زوجاته المحيطة بالمسجد. والوظيفية في الفكر المعماري العربي الإسلامي، وإن كانت وليدة أسباب: دينية، واجتماعية، واقتصادية، كما عبر عنها الحديث، إلا أنها لا تعني الالتزام بالتجريد الشكلي، والاكتفاء به، وإلغاء العناصر

الجمالية فيه، وإنما المراد بها ألا يكون التكلف ⁽⁷⁷⁾ في البناء - وبخاصة بناء المساجد - سنة متبعة ترهق المسلمين اقتصادياً، وربما يتعذر عليهم بناؤها. فالوظيفية إذن جاءت تيسيراً وتسهيلاً لحاجة اجتماعية هي عملية البناء، وليست مذهباً جمالياً بحكم الإنتاج المعماري.

بقي أن أشير في المصدر الديني إلا أن الإسلام دين حضري، فلقد نهي القرآن الكريم عن سلوك أهل البادية، ووصف الأعراب (سكان البادية) بالكفر والنفاق كما في قوله تعالى، في سورة التوبة، الآية: 97: "الأعراب أشد كفراً ونفاقاً وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم". كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم نهي عن سكن البادية، كما في قوله ⁽⁷⁸⁾: "من بدا أكثر من شهرين فهي أعرابية"، وفي قوله أيضاً ⁽⁷⁹⁾: "من بدا جفا".

كما يجدر أن أعرض هنا لنظريات عمر بن الخطاب في التخطيط العمراني قبل أن أنهي البحث في المصدر الديني. فالمعروف أن أول مدن الإسلام أنشأها عمر بن الخطاب. وهي مدينتي البصرة والكوفة في العراق، والفسطاط في مصر. ولقد تم إنشاؤها بناءً على رؤى وأفكار عمر بن الخطاب في رسالة وجهها إلى واليه على البصرة ⁽⁸⁰⁾: "إن العرب لا يوافقها إلا ما وافق إبلها من البلدان، ... فليرتادا منزلاً برياً بحرياً، ليس بيني وبينكم فيه بحر ولا جسر ... ولا يزيدن أحدكم على ثلاثة أبيات، ولا تطاولوا في البنين، وألزموا السنة تلزمكم الدولة ... وألا يرفعوا بنياناً فوق القدر ... [أي] ما لا يقربكم من السرف ولا يخرجكم عن القصد ... [وأن تكون] المناهج [الطرق الرئيسية] 40 ذراعاً [22.6م]، وما يليها 30 ذراعاً [16.3م] وما بين ذلك 20 ذراعاً [11.3م] والأزقة 7 أذرع [3.95م]، ليس دون ذلك شيء، وفي القطائع 60 ذراعاً [33.9م] ... فأول شيء خط بالكوفة وبني حين عزموا على البناء المسجد ... ثم قام رجل في وسطه، رام شديد النزع، فرمى عن يمينه فأمر من يشاء أن يبني وراء موقع ذلك السهم، ورمى من

بين يديه ومن خلفه، وأمر من شاء أن يبني وراء موقع السهمين. فترك المسجد في مربعة غلوة ... [اعتبرت الذراع مساوياً 56.5سم]."

وتتضح رؤية عمر بن الخطاب في المعايير الإستراتيجية التي تحكم اختيار مواقع المدن، التي شملت المعايير البيئية، والاجتماعية، والجغرافية، والاقتصادية، والعسكرية، والسياسية، والإدارية، وهي نفس المعايير التي تبناها ابن خلدون⁽⁸¹⁾ لاختيار مواقع المدن فيما بعد.

أما التخطيط المقترح، فقد حوى مجموعة من المعايير الفنية: كتحديد استعمالات الأراضي، لأغراض سكنية، ودينية، وإدارية، وترفيهية، كما عني التخطيط المقترح بتوزيع النسيج العمراني على أساس شبكي، من خلال تحديد أطوال القطاعات (القسائم)، وتحديد عروض الشوارع في شبكة الطرق تبعاً لترتيبها: رئيسية، وفرعية، وأزقة، وتحديد ارتفاعات المباني. ويتضح مما حوته هذه الرؤية، أنها تشكل أول نظريات تخطيط عمراني، بل يمكن القول أنها أرسيت نواة علم التخطيط العمراني المعاصر.

مما سبق يتضح كيف أن المصدر الديني بطروحاته الخمسة، عدل، وحدد، ورسم، بوعي وقصد، مسار بداية الفكر المعماري في الجاهلية، إلى بداية لمشروع فكري معماري قيد التأسيس في الإسلام.

وسنرى فيما يلي من عرض وتحليل كيف أن باقي المصادر وظفت لتشكيل فكر هذا المشروع وأوصلته إلى مرحلة تكوين الظاهرة المعمارية، أو منظومة الفكر المعماري العربي الإسلامي، مبتدئاً بالمصادر الأدبية.

2- المصادر الأدبية

كان لإسهام المصادر الأدبية دور كبير في تطوير الفكر المعماري. واكتسب هذا الإسهام قيمته من كونه إسهاماً نقدياً معنياً بتصحيح مفاهيم متداولة، وإضافة مفاهيم جديدة، ويعمل على إثراء الفكر وتحديدده، فالجاحظ أثرى فكر المدرسة الآثارية بتوضيحه لدور الكتابة⁽⁸²⁾ المزدوج في عملية تخليد الإنجازات الحضارية، وهما التوثيق الآثاري بالكتابة على حيطان المنجزات المعمارية، والتوثيق التاريخي في الكتب. وإن الأخير أبقى

وأحفظ للمآثر الحضارية من الأول، لأن العادة جرت أن يطمس ⁽⁸³⁾ الملوك والأمراء الإنجازات المعمارية لمن سبقوهم.

ثم انتقل الجاحظ إلى عملية الاستقصاء الآثاري ⁽⁸⁴⁾، فنفى من خلاله النظرية السائدة بشأن طول وعرض وضخامة أجسام الأمم السابقة (باستثناء قوم عاد)، مستدلاً على ذلك من مخلفاتهم الآثارية: كضيق أبواب ⁽⁸⁵⁾ قصورهم ومدافنهم وقصر سمك عتب أدراجها ⁽⁸⁶⁾، "ومن مواضع قناديل كنائسهم ومجالسهم وبيوت عبادتهم وملاعبهم، من قمم رؤوسهم" ⁽⁸⁷⁾.

ومحاولات الجاحظ لم تقف عند تصحيح بعض مفاهيم المدرسة الآثارية وإثرائها، بل تعدت ذلك لتوضح معايير وبيانات تصميم ⁽⁸⁸⁾ البيوت وعناصرها، من خلال وصفه لبيوت البصرة، كتخصيص مكان للبالوعة (المرحاض)، وآخر للغسيل ومكانه فناء الدار، ووضع المطبخ على السطح لتفادي الروائح داخل البيت ... إلخ.

ولقد شارك ابن قتيبة في وضع هذه المعايير والبيانات، فأشار إلى ضرورة توجيه قسم النوم إلى الشرق ⁽⁸⁹⁾ وضرورة تخصيص المناطق الشرقية للعمران والمناطق الغربية للبياتين ⁽⁹⁰⁾.

وهذه المعايير والبيانات القديمة في طرحها والمعاصرة في مضمونها واستعمالاتها، لم تكن الإسهام الوحيد للمصادر الأدبية في الفكر المعماري، فقد تضمنت هذه المصادر مضامين فكرية ذات جذور وأبعاد تأسيسية في الفكر المعماري.

وأخص منها المضامين الفكرية الوظيفية التي عرض لها ابن قتيبة، تشبيهه ببناء الدار بتفصيل "القميص" ⁽⁹¹⁾ الذي تخضع توسعته وتضييقه لمقاس من يلبس القميص. وكذلك

الأمر بالنسبة لتصميم وبناء الدار، فيجب أن يحقق حاجات المستعملين. هذا على مستوى الاستعمال، أما على مستوى الجمال، فقد وصف ابن قتيبة مادة البناء الأصلية بالذهب ⁽⁹²⁾، ووصف مواد التكسية لمادة البناء الأصلية بالفضة، وخلص إلى أن كلاً من مواد البناء الأصلية ومواد التكسية تحققان الجمال، لكن جمال المادة الحقيقي يكون أظهر

تعبيراً. فالوظيفة عند ابن قتيبة ليست إلزاماً بالتجريد الشكلي واكتفاءً به فقط، وإن كان التجريد بذاته يحقق الجمال، بل هي تيسير، وتسهيل لتلبية الحاجات الاجتماعية كما أسلفت.

وهذا المضمون أكدّه أيضاً ابن رشيق، ولكن بصورة أكثر وضوحاً فيقول⁽⁹³⁾: "والبيت من الشعر كالبيت من الأبنية، قراره الطبع، وسمكته الرواية، ودعائمه العلم، وبابه الدرية، وساكنه المعنى، ولا خير في بيت غير مسكون، وصارت الأعاريز والقوافي كالموازن والأمثلة للأبنية، أو كالأواحي والأوتاد للأخبية، فأما سوى ذلك من محاسن الشعر فإنما هو زينة مستأنفة ولو لم تكن لاستغنى عنها".

إن ما يعنينا هنا هو أن البيت لا يبنى إلا للاستعمال، أي لأداء وظيفة معينة هي السكن، وتأتي قيمة البيت من مدى ملائمته للسكن، والملائمة تتأتى من تحقيق التصميم المعماري لحاجات المستعملين، ومن متانة البناء، ليتسنى للمستعملين مباشرة أمورهم الحياتية بأمان. وأما العناصر الجمالية فهي زيادة مستحبة، لا يشترط الاستغناء عنها في عمليتي التصميم والبناء، وهذا ما أشرت إليه سابقاً. وهذا يعني أيضاً أن الطرح الوظيفي في الفكر المعماري الإسلامي، جاء متجانساً بالرغم من تنوع مصادره، فما جاء في المصادر الأدبية ليس إلا تواصلًا واستمراراً لما جاء في المصادر الدينية، وهذا التواصل والاستمرار ما هو إلا دليل على وحدة الفكر، التي سنرى لها جوانب أخرى في المصادر الجغرافية وأدب الرحلات.

3- المصادر الجغرافية

لعبت المصادر الجغرافية، بما فيها أدب الرحلات، دوراً مميزاً، في الفكر المعماري، وأخص بالذات الجانب التخطيطي منه، فقد عرضت هذه المصادر للخصائص الجغرافية⁽⁹⁴⁾ والمناخية للعالم العربي الإسلامي، وبينت مصادره الاقتصادية وتقسيماته السياسية والإدارية، فتعرفنا على أقاليمه الستة⁽⁹⁵⁾ وهي: جزيرة العرب، العراق، أقور (الموصل وديار بكر)، الشام، مصر، المغرب. كما عرض المقدسي للمخطط الهيكلي

لكل إقليم مرسوماً وموضحاً بالألوان⁽⁹⁶⁾: "... ثم فصلنا كور كل إقليم ونصبتنا أمصارها وذكرنا قصباتها ورتبنا مدنها وأجنادها بعدما مثلناها ورسمنا حدودها وخططها وحررنا طرقها المعروفة بالحمرة وجعلنا رمالها الذهبية بالصفرة وبحارها المالحة بالخضرة وأتارها المعروفة بالزرقة وجبالها المشهورة بالغبرة ليقرب الوصف إلى الأفهام، ويقف عليه الخاص والعام".

فاستعمال المخططات وإخراجها بالألوان يعتبر نقلة نوعية في تاريخ الفكر المعماري، فالمخطط ما هو إلا ترجمة لأفكار محددة، والألوان إظهار لها. ويبدو أن أهم ما أسهمت به المصادر الجغرافية هو الوصف التفصيلي للمدن، وما حوته من إنجازات معمارية، الذي تعرفنا من خلاله على المخطط الهيكلي⁽⁹⁷⁾ لبعض المدن العربية، كما تعرفنا على: استعمال الأراضي، والنسيج المعماري، وشبكة الطرق، والأنشطة المختلفة التي تحويها المدن، وعناصر التصميم الحضري، والنمط المعماري، وخصائصه الشكلية، والتقانية.

والواقع أن الوصف لا يقتصر على إعطاء صورة واضحة عن واقع حال المدينة عند وصفها، بل إنه يعطي صورة عن الأفكار المستعملة في تخطيطها، فالوصف بالضرورة إما أن يؤكد كل أو بعض الأفكار المتداولة والمعروفة. كنظريات عمر بن الخطاب في تخطيط المدن التي أشرت إليها سابقاً، أو يتضمن أفكاراً جديدة لم تكن معروفة سابقاً، وبهذا يكون الوصف سجلاً للأفكار، فهو إذن جزء من الإطار الفكري الذي يحكم العمل المعماري، وهذا ما سأليناه في المصادر التاريخية.

4- المصادر التاريخية

إن ما حوته المصادر التاريخية من مفاهيم معمارية يكاد ينحصر ضمن الجانب الخاص بدراسة العمارة لا بممارستها، إذ عرضت هذه المصادر للمنجزات المعمارية للحضارات المنقرضة، ولمنجزات الحضارة العربية الإسلامية، وقد عولجت هذه المواضيع في

كتب معمارية متخصصة، سنتعرف من خلالها على إسهام المصادر التاريخية في الفكر المعماري، ولكن بعد أن نعرض للمصادر العلمية.

5- المصادر العلمية

احتل الإسهام العلمي مكانة مميزة في الفكر المعماري، فغطى الجوانب الصحية والهندسية، أما الإسهام الصحي فقد تمثل في رأي الطب باختيار مواقع المساكن وتجهيزها وتوجيهها، فوضح لنا ابن سينا أنواع المساكن ⁽⁹⁸⁾ تبعاً لمكانها الجغرافي، وعرض للعوامل البيئية التي تؤثر عليها، وخلص إلى أن أماكن المساكن يجب أن تكون في ناحية المشرق ⁽⁹⁹⁾ وأن يتم توجيه فتحاتها من أبواب وشبابيك باتجاه شرق ⁽¹⁰⁰⁾ الشمال، لتمكين الرياح المشرقية - وهي الأكثر نقاءً وصفاءً - من مداخلة الأبنية، وكذلك تمكين الشمس من الوصول إلى كل موضع فيها. وقد جاء رأي الطب مؤكداً لرأي ابن قتيبة الذي أشرت إليه في المصادر الأدبية، وهذا أيضاً يدل على وحدة الفكر المعماري. وأما الإسهام الهندسي، فيتمثل في معرفة خواص الأشكال الهندسية وطرق القياس ومعرفة المساحة، وقد عرض إخوان الصفا لهذا العلم، وبينوا حاجة الصناعات ⁽¹⁰¹⁾ إليه. فتكوين الأجسام المصنوعة عندهم يتم: بالتقدير أولاً، وقبل العمل، وذلك لمعرفة موضع الجزء من الكل، وبالتأليف ثانياً، وذلك لمعرفة تجاور الأجزاء وتباعدها، وبالترتيب ثالثاً، وذلك لمعرفة التوقيت الذي يتم فيه تركيب الأجزاء. وبهذه العملية التي أساسها التفكير والتأمل والتألف والتناسب ⁽¹⁰²⁾، يتم تكوين الأشكال، ومنها الشكل المعماري. أما ابن الهيثم ⁽¹⁰³⁾ فقد عرض لتكوين الأشكال (الصور) من خلال علم البصريات، فأسفرت محاولته عن وضع قواعد وأسس رسم المنظور الهندسي، فذكر أن الصور تتكون وتدرج من خلال المعاني الجزئية المكونة لها، والتي تنقسم بالجملة إلى اثنين وعشرين قسمًا وهي ⁽¹⁰⁴⁾: "الضوء، اللون، البعد، الوضع، التجسيم، الشكل، العظم، التفرق، الاتصال، العدد، الحركة، السكون، الخشونة، الملاسة، الشفيف، الكثافة، الظل، الظلمة، الحسن، القبح، التشابه، الاختلاف".

ويتدرج تحت هذه المعاني معاني أقل منها جزئية تدخل في تكوين الصور. ولقد أسهمت هذه المعاني في تشكيل العمل المعماري، فالمنظور المعماري يتم إدراكه من خلال إدراك المعاني الجزئية⁽¹⁰⁵⁾ المشكلة لسطوحه، ومن خلال وضعه، وتجسمه، وشكله. أما سطوحه فيتم إدراكها من خلال خمسة⁽¹⁰⁶⁾ معان، وهي: الضوء الكائن فيها، لونها، بعدها، جهتها، وكمية بعدها.

وهذه المعاني تدرك جملة واحدة لأنها تدرك بالمعرفة، فأما وضعه فيدرك من خلال ترتيب أجزائه ومدى تألفها وانسجامها، أو تباينها وتفرقها. كما يدرك تقدمها وتأخرها من خلال إدراك كمية أبعاد هذه الأجزاء عن البصر. وأما تجسم المنظور فيدرك من خلال امتداده في الأبعاد الثلاثة: الطول، العرض، والارتفاع، ومن انعطافات سطوحه وتداخل أجزائه. وأما الشكل فهو إدراك لهيئة سطوح المنظور وما تكون عليه من تحديد، أو تغيير، أو شخوص، أو غؤور.

والواقع أن هذه المعاني التي أدركنا من خلالها المنظور هي المعاني نفسها التي نستطيع أن نستعملها لرسم المنظور وتكوين الصور. أما رسم المنظور فقد استطاع من خلاله المعمارون ترجمة خيالهم إلى واقع عملي وفني في آن واحد، لأن إبراز المعاني الجزئية وإخراجها هو إظهار للجمال. أما تكوين الصور، فقد طبقه ابن الهيثم في الغرفة المظلمة، التي هي أساس اختراع آلة التصوير، فيما بعد، كما في الصورة (رقم 8).

وبهذا أكون قد استنفرت ما عرضت له المصادر: الأدبية، والجغرافية، والتاريخية، والعلمية. وبينت أن كل مصدر من هذه المصادر، قد طرح أو أعاد طرح أو شارك في طرح مسألة أو مجموعة من المسائل التأسيسية المعمارية، طبقاً للبداية التي حدد طروحاتها ورسم مسارها المصدر الديني. وشكلت هذه الطروحات والمسائل التأسيسية الفكر المعماري العربي الإسلامي، الذي تم جمعه وتصنيفه في منظومة فكرية معمارية، شكلت بدورها المصادر المعمارية، التي ستكون موضوعنا التالي.

6- المصادر المعمارية

إن المصادر السابقة أتاحت لنا أن نتعرف على الفكر المعماري من خارجه، فتعاملنا مع موجبات وجوده وصفاته وخصائصه، وهي وإن شكلت لنا بنية فكره، إلا أن المصادر المعمارية تتيح لنا الفرصة للتعرف عليه من داخله أي من نظام العلاقات فيه. وحتى يتسنى لنا ذلك، يجب علينا أن نصنف هذه المصادر طبقاً لموضوعاتها، التي يمكن حصرها كالآتي:

6-1- الدراسات التاريخية المعمارية

6-2- الدراسات الآثارية

6-3- الدراسات الخاصة بأحكام البنيان (القوانين ونظم البناء والنظريات وبيانات التصميم)

6-4- الدراسات الخاصة بالأنماط المعمارية: كالمساجد والحمامات والمستشفيات

6-5- الدراسات الخاصة بعمران المدن وتخطيطها (التخطيط العمراني)

من الواضح أن تصنيف المصادر المعمارية طبقاً لموضوعاتها يتضمن إطارين:

1- الإطار الخاص بدراسة العمارة ويشمل الدراسات التاريخية والآثارية

2- الإطار الخاص بممارسة العمارة ويشمل باقي الدراسات

1- الإطار الخاص بدراسة العمارة

6-1- الدراسات التاريخية المعمارية

أما الدراسات التاريخية المعمارية فقد عנית بتوثيق المنجزات المعمارية العربية الإسلامية، وأخص منها تاريخ عمارة المساجد، كتاريخ المسجد الحرام⁽¹⁰⁷⁾، والمسجد النبوي⁽¹⁰⁸⁾، والمسجد الأقصى⁽¹⁰⁹⁾، ولقد اتخذت هذه الدراسات من تقانة الوصف والتحليل الشكلي أسلوباً ومنهجاً. أما التوثيق فقد عني بتسجيل نوع المنجز المعماري ووظيفته واسم بانيه والمشرفين على بنائه، وتاريخ بنائه وتحديد مواد البناء وتقناته. وأما

الوصف والتحليل الشكلي فقد عنيا بتسجيل العناصر، والخصائص، والمزايا، والملاحم الفنية، والجمالية، والشكلية.

وهذا ما يشكل بنية الدراسات التاريخية المعمارية التي صاحبها في بعض الأحيان استعمال الرسومات التوضيحية. فالأزرقى⁽¹¹⁰⁾ (متوفى 250هـ - 864م)، وضع وصفه برسم مسقط أفقي للكعبة (شكل - 6)، أما القزويني⁽¹¹¹⁾ (600-682هـ / 1203-1283م)، فقد وضع وصفه برسم تفصيلي لمدينة مكة (شكل - 7)، كما ذكر السيوطي⁽¹¹²⁾ (813-880هـ / 1410-1475م) أن الخليفة عبد الملك بن مروان أمر بعمل نموذج للصخرة قبل بنائها. وهذا يوضح أن الرسومات المعمارية على بساطتها لعبت دوراً مهماً، لا في الدراسات التاريخية فحسب، بل وفي التصميم المعماري كذلك. وهذا ما يكمل بنية هذه الدراسات ويقوي مكانتها التي هي موضوعنا التالي.

أما مكانة وموقع هذه الدراسات في الفكر المعماري فيعتمد على مدى حضور الفكر المعماري نفسه، ففي حالة حضوره ينحصر دور الدراسات التاريخية في إطارها الوثائقي، كأحد جوانب الفكر المعماري المصاحبة لآلية إنتاجه، فهو جزء من الإنتاج نفسه.

وأما في حالة غياب الفكر المعماري، أو تغييبه، فإن الدراسات التاريخية تكون البديل. بمعنى أن تعاد صياغة الدراسات التاريخية بما حوته من وصف إلى منظومة فكرية بغرض توظيفها في عملية إنتاج العمل المعماري، فتصبح بذلك الفكر الذي يملك آلية الإنتاج. وهنا يتوجب علينا أن نتساءل عن حضور الفكر المعماري نفسه، حتى نتتمكن من تحديد موقع الدراسات التاريخية فيه، ولكن بعد أن نتعرف على الطبيعة الفنية لهذه الدراسات.

الدارس والمتفحص لمجموعة الكتب التي عرضت لعمارة المساجد، يخلص إلى أنها دراسات تاريخية، فنية كتاباتها وتقانتها تفرض تصنيفاً تاريخياً، لكن وجود المنجزات

المعمارية واستمرار أدائها بكفاءة أعلى مما كانت عليه عند بنائها، وعبر تاريخ أدائها، يجعل هذا التصنيف أقرب إلى الدراسات النقدية والتوثيقية منه إلى الدراسات التاريخية، خاصة وأن هذه الدراسات تكررت أكثر من مرة، فلم يخل مؤلف جغرافي⁽¹¹³⁾، أو تاريخي⁽¹¹⁴⁾، أو معجم جغرافي⁽¹¹⁵⁾، من وصف للمسجد الحرام، أو المسجد النبوي، أو المسجد الأقصى، أو غيرها من المعالم والمنجزات المعمارية. ولما كان الوصف التفصيلي سمة من سمات النقد، كما هو سمة من سمات الدراسات التاريخية، فإنني أخلص إلى أن هذه الدراسات تجمع بين النقد والتوثيق والتاريخ. وقد اكتسبت حضورها في الحقل المعرفي المعماري من استمرار وجود المنجزات المعمارية التي عنيت بدراستها ومن استمرار أداء هذه المنجزات لوظيفتها.

كما أن وجودها وأدائها واستمرار وجودها وأدائها للغرض نفسه الذي بنيت من أجله- وهو الصلاة في عمارة المساجد- وبناء مثل لها واستمرار بنائه لتحقيق الأداء نفسه، ما هو إلا دليل على حضور الفكر المعماري المنتج لها. فموقع الدراسات التاريخية، ينحصر إذن في إطاره الوثائقي، كتاريخ للمنجزات المعمارية (مباني)، وكجزء من عملية الإنتاج المعماري وليس كبديل له.

بقي أن أوضح أن الكتابات التاريخية العربية الإسلامية القائمة على الوصف والتحليل الشكلي والتوثيق، كما بينت سابقاً، هي التي وضعت بنية الدراسات التاريخية المعمارية والفنية، وأرست أسس وتقانة كتابتهما. وعليه فإن الدراسات التاريخية المعمارية والفنية هي إنجاز عربي إسلامي استنه الأزرقى (م 250هـ-864م) في كتابه، أخبار مكة وما جاء بها من الآثار، ونهل على منواله باقي المؤرخين العرب.

واللافت أن الدراسات التاريخية المعمارية والفنية الأوروبية، التي ابتدأت في منتصف القرن الثامن عشر، ليست سوى اقتباس وتكرار بنيوي ومنهجي وتقاني للدراسات العربية الإسلامية في مجال تاريخ العمارة والفن. هذه الحقيقة يجب أن تكون

حاضرة في وعينا وممارستنا لهذا النوع من الأدب المعماري والفني. وعليه فإن محاولة استبدال الفكر المعماري العربي الإسلامي، بالكتابات التاريخية من قبل المستشرقين ومن هذا حذوهم من الأكاديميين العرب والمسلمين، هي في واقع الأمر محاولة لتغيب الجسم النظري للفكر المعماري العربي الإسلامي، كأداة لإنتاج العمارة، وذلك لنفي الوعي والأصالة اللذين تميز بهما هذا الفكر، وإلخضاعه لنفوذ العمارات الأخرى. ولقد استغلت الدراسات الآثارية للأغراض نفسها، وهذا ما سألينه بعد أن أعرض لدورها ومكانتها في الفكر المعماري.

6-2- الدراسات الآثارية

حظيت الدراسات الآثارية باهتمام كبير في الفكر المعماري العربي الإسلامي، وربما يكون مرد ذلك إلى ارتباط علم الآثار بفلسفة التاريخ العربي الإسلامي، القائمة على التواصل التاريخي، والدروس والعبر والتنوع داخل الوحدة والتفكر والتأمل. ولقد أشرت إلى تطور فكر المدرسة الآثارية حتى كادت تغطي جميع آثار الحضارات السابقة للإسلام والمعاصرة له، فالديارات النصرانية في ديار المسلمين حظيت بثلاثة عشر مؤلفاً⁽¹¹⁶⁾ ذكرت فيها مواقع الديارات، وحددت أجزائها ووصفت أشكالها ونوه بأسماء بنائها وذكرت مواد بنائها وتقانتها، كما عرض المسعودي لمباني العبادة وللهيكل المعظمة عند اليونانيين⁽¹¹⁷⁾ والروم والصقالبة والصابئة وبيوت النيران الفارسية، فذكر أسماءها وأماكنها ومواد بنائها، وحدد استعمالاتها، ووصف أشكالها وعناصرها المعمارية وبين تقانة بنائها، كما عرض للآثار الفرعونية وأخص منها الأهرام⁽¹¹⁸⁾ لأنه طرح نقطة في غاية الأهمية، وهي أن الأهرام بنيت مدرجة ثم نحتت وسوى شكلها من أعلى إلى أسفل ليصبح أملس. والواقع أن الآثار الفرعونية حظيت بأكبر نصيب من الاهتمام إذ لم يخلُ كتاب في الجغرافيا أو التاريخ من عرض لهذه الآثار.

على أنني معني الآن بالكتب الآثارية التي عرضت للآثار الفرعونية فقط. وأخص منها كتاب "الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر" لعبد اللطيف البغدادي، وخطط المقريري.

وكتاب "عجائب الدنيا" لابن وصيف، وكتاب "تحفة الألباب" للغرناطي وأهم هذه الكتب وأكثرها قيمة علمية هو كتاب البغدادي ⁽¹¹⁹⁾ الذي وصف الأهرام وصفاً علمياً دقيقاً، فعرض لخصائص الشكل المخروطي ومدى مقاومته للعوامل الجوية، وذكر مقاساتها وكيفية قياسها، ووصفها من الداخل، وذكر دهاليزها، وممراتها، وحجراتها الداخلية، وما فيها من التوابيت، وذكر تقانة بنائها. وأهم ما يعني هنا هو أن البغدادي أشار إلى وجود طبقة من الملاط (المونة) الرقيق جداً بين الحجارة لم يعرف صفته، وهذا خلاف الرأي السائد حالياً وهو أن الأهرام بنيت بدون مونة. كما أشار البغدادي إلى فشل محاولته لقراءة الكتابات الهيروغليفية. أما كتاب المقريري فسأعرض له لاحقاً. أما الغرناطي ⁽¹²⁰⁾ فقد استعمل الرسومات التوضيحية في توثيقه للآثار الفرعونية فرسم واجهة للهرم المدرج (شكل - 8) وواجهة الهرم الأملس (شكل - 9) وواجهة لمسلة عين شمس (شكل - 10).

والواقع أن الرسومات التوضيحية تعتبر إسهاماً جديداً ومميزاً في الدراسات الآثارية بالرغم من محدودية دورها فكتاب الشابشتي عن الديار النصرانية في بلاد المسلمين كان مصوراً ⁽¹²¹⁾ ومزخرفاً وملوناً ولكنه لم يصل إلينا. كما استعمل القزويني ⁽¹²²⁾ رسماً توضيحياً في دراسته لمنارة الإسكندرية (شكل - 11). قد لا تكون هذه الرسومات ذات قيمة فنية لخلوها من التفاصيل إلا أن استعمالها مع مثيلاتها السابقة يعطيها قيمة تأسيسية داخل الحقل المعرفي المعماري.

بقي أن أشير إلى دور الكتابات والنقوش التي تزين واجهات المباني في الدراسات الآثارية العربية الإسلامية، والذي كاد أن يكون معدوماً، لولا محاولة

البيروني⁽¹²³⁾ دراسة حضارات الهند، ومحاولة الهمداني⁽¹²⁴⁾ لدراسة المنجزات المعمارية للحضارة اليمنية، حيث نجح في توثيق هذه المنجزات، وترجم جميع الكتابات والنقوش المكتوبة على واجهاتها. وقد يكون السبب في ضعف أو محدودية دور الكتابة في عملية التفسير الآثاري، وهو عدم وجود ضرورة حضارية لدراساتها أو ربما لتواصل أسباب المعرفة بين الحضارات السابقة للإسلام والحضارة العربية الإسلامية، حيث أن شعوب هذه الحضارات اعتنقت الإسلام، وشكلت مع الحضارة العربية في اليمن، والحضارات العربية السامية في العراق، الرصيد التقاني للعمارة العربية الإسلامية.

مما سبق يتضح لنا أن الدراسات الآثارية في المرحلة العربية الإسلامية أحدثت نقلة نوعية في علم الآثار، فاستكملت جوانبه، ووسعت أسلوب استقصائه، فطرحت عدة مسائل تأسيسية في الدراسات الآثارية، كاستعمال الرسومات التوضيحية، وبيان طريقة بناء الهرم، واستعمال الكتابة في عملية التفسير الآثاري ومحاولة تنقيح المعرفة بواسطة التفسير العلمي للآثار الذي استعمله الجاحظ، وغير ذلك مما عرضت له. وبالدراسات الآثارية يكون الإطار الفكري الخاص بدراسة العمارة قد اكتمل، ولكن ينبغي تحديد مكانة هذه الدراسات وموقعها في الفكر المعماري العربي الإسلامي، قبل أن أنتقل إلى الإطار الخاص بممارسة العمارة.

بينت أن هذه الدراسات خاصة بالآثار، أي ببقايا الحضارات، فهي لا تصلح لدراسة الحضارات القائمة، كما أنها لا تصلح لدراسة الحضارات الموثقة، لأن الغرض من الدراسات الآثارية هو التوثيق، الذي يلغي وجوده الحاجة إلى الدراسات الآثارية. استناداً إلى ذلك فيمكننا التقرير أن الدراسات الآثارية لا تصلح لدراسة العمارة العربية الإسلامية، وذلك لحضور هذه العمارة واستمرار أدائها، كما وضحت ذلك في الدراسات التاريخية، ولأن جميع المنجزات المعمارية العربية الإسلامية موثقة تاريخياً كما بينت ذلك أيضاً، في تلك الدراسات.

أمام هذه الحقائق يمكننا التقرير أن الدراسات الآثارية لم تسهم في عملية الإنتاج المعماري العربي الإسلامي أو في آليته، ولكنها أسهمت في توسعة الحقل المعرفي للدراسات المعمارية العربية الإسلامية خاصة بما وثّقته عن العمارة العربية قبل الإسلام. وأمام هذه الحقائق يمكن التقرير أيضاً، أن محاولة تصنيف الدراسات التاريخية التي أشرت إليها سابقاً، كدراسات آثارية ومن ثم توظيفها كبديل للفكر المعماري، أمر يفتقر إلى الموضوعية والدقة العلمية، ويهدف إلى تغييب الفكر المعماري، لإفقاد العمارة العربية الإسلامية أصالتها، ونفي الوعي في ممارستها.

بهذا أكون قد عرضت للدراسات التاريخية والآثارية، وبينت مكانهما في الفكر المعماري العربي الإسلامي، كإطار فكري خاص بدراسة العمارة لا بممارستها، وأن إسهامها اقتصر على توسعة وإثراء المحتوى الفكري المعماري العربي الإسلامي. أما فيما يلي من دراسة وتحليل فسأعرض للإطار الفكري الخاص بممارسة العمارة، مبتدئاً بالأحكام والقوانين.

2- الإطار الخاص بممارسة العمارة

6-3- الدراسات الخاصة بالأحكام والقوانين (النظريات وبيانات التصميم)

أشرت إلى أن المصادر الدينية عرضت للمفاهيم العامة للفكر المعماري في خمسة طروحات فكرية، تمحورت حولها جهود الفقهاء والمفكرين، فتوسعوا في بحثها إلى أن أوصلوها إلى مرحلة الأحكام المنظمة لعملية البناء، فلم يخل كتاب فقهي من أمهات كتب الفقه⁽¹²⁵⁾ من باب يعرض فيه لأحكام البناء. كما أفردت له مجموعة من الكتب المتخصصة، عرضت لموضوعات معينة في أحكام البناء، ككتاب الجدار⁽¹²⁶⁾، ومنها ما جاء عاماً وشاملاً، ككتاب الإعلان بأحكام البناء⁽¹²⁷⁾، لابن الرامي.

وتأتي قيمة هذا الكتاب من كون مؤلفه بناء (مهندساً معمارياً)، الأمر الذي جعل من هذا الكتاب مصنفاً معمارياً، فجاء موضحاً ومكملاً للطروحات الفكرية

الخمسة التي أفرزتها المصادر الدينية، إذ عرض لمجموعة من الأحكام التي شملت الحقل المعرفي المعماري: فمنها ما هو خاص بالإنشاء كأحكام الجدار، ومنها ما هو خاص بالتحكم البيئي كحقوق الارتفاق، ومنها ما هو خاص بالملكية المشتركة والانتفاع العام كمصادر المياه. على أن أهم ما عرضه له الكتاب هو أحكام نفي الضرر، لما اتصفت به من شمولية، والتي سأعرض لها بعد أن أعرض لأحكام الجدار المنهار. عرض الفقه الإسلامي لأحكام الجدار المنهار بالتفصيل، فوضح أنه إذا كان السبب في الانهيار إهمال أو قصور البناء، فيجب عليه إعادة بنائه على نفقته الخاصة، عملاً بالقاعدة الشرعية القائلة: "الغنم بالغرم"⁽¹²⁸⁾، أي من ينال نفع الشيء يتحمل ضرره. وهذه الأحكام الجزائية، التي جاءت لتحكم إتقان صناعة البناء، وضحت لنا حضور شريعة حمورابي في الفكر المعماري الإسلامي، ولكنها تميزت بأنها كانت مسبقة بمجموعة من الأحكام⁽¹²⁹⁾ الخاصة بملكية الجدار وشروط الانتفاع به وأسلوب بنائه، وهذا ما أكسبها قيمتها الجزائية.

أما أحكام نفي الضرر، فقد وضع ابن الرامي أن الضرر يتأتى من الأسباب التالية: الدخان، الرائحة، الضوضاء، سوء استعمال الطريق، والنظر من الكوى والأبواب. أما الضرر من الدخان فينقسم إلى قسمين⁽¹³⁰⁾: الأول دخان التنور والمطبخ، وهذا لا يمنع لعدم إمكانية الاستغناء عن مسبباته وهي عملية الطبخ. والثاني دخان الحمامات والأفران، وهذا يمنع لاحتوائه الضرر بالسكان المجاورين لمصدر الدخان، ولهذا يجب أن يكون خارج المناطق السكنية لتفادي إحداث الضرر. وكذلك الأمر بالنسبة للرائحة⁽¹³¹⁾، فيمنع إحداث مداخل الجلود داخل المناطق السكنية، لما تسببه من رائحة النتن المنبعثة من عملية الدباغة لسكان الدور المجاورة، كما يمنع إحداث المجاري المكشوفة لما تسببه من رائحة كريهة. وكذلك الأمر بالنسبة للصوت⁽¹³²⁾، فلا يجوز ممارسة أعمال داخل الدور تسبب الضوضاء، إذ ربما يتسبب عنها اهتزازات تؤدي إلى انهيار الدور

المجاورة، هذا بالإضافة إلى ما تحدثه من إزعاج لسكان الدور المجاورة. كما يمنع بروز⁽¹³³⁾ البناء على الطريق النافذ، لما يحدثه من اعتداء على حرم الطريق وإعاقة الحركة فيها. أما ضرر النظر من الكوى⁽¹³⁴⁾ والأبواب، فيترتب عليه الاعتداء على خصوصية الأسر، وانحيار القيم والأخلاق والسلوك الاجتماعي، فجاء نفي حدوثه أكثر إلحاحاً من أي عنصر آخر. ولقد تم ذلك بوسائل معمارية، حققت مفهوم الوقاية من الانحيار الأخلاقي والاجتماعي لمن يمكن إغراؤهم بالنظر إلى بيوت وعورات غيرهم من خلال الكوى. وهذه الوسائل تباينت تبعاً لظروف حدوثها، ففي حالة الكوي التي تقع بين الدور⁽¹³⁵⁾، عولجت بألا يقل ارتفاع جلستها عن ارتفاع قامة رجل⁽¹³⁶⁾ واقف على سرير ارتفاعه من 4-5 أشبار، أي أن يكون ارتفاع جلسة الشباك حوالي 3م⁽¹³⁷⁾ (شكل-12)، وذلك حتى لا يتمكن سكان البيوت من النظر إلى جيرانهم. أما إذا كانت الكوة مطلة على الطريق⁽¹³⁸⁾، فيجب ألا يقل ارتفاع جلستها عن منسوب الطريق، عن سبعة أشبار، حوالي 1.98م (شكل-13)، الأمر الذي يتعذر معه النظر إلى داخل البيوت وكشف عورات سكانها. وبهذا الحل المعماري يتحقق مفهوم الخصوصية للسكان والوقاية لمستعملي الطريق، وذلك بعدم تمكينهم من النظر إلى بيوت الناس، مما يجنبهم الوقوع في الخطأ.

أما نفي الضرر من الأبواب، فحالاته كثيرة والآراء فيه متباينة، ولكنها تهدف إلى تحقيق الخصوصية في الاستعمال، والواقع إن ما عرضه له الكتاب أكبر من أن تتسع له هذه الدراسة، لكننا نخلص إلى أن هذه الأحكام (وإن كانت تبدو للوهلة الأولى وكأنها قوانين تنظيمية وجزائية) أحدثت نقلة نوعية في الفكر المعماري، فارتقت به من مرحلة الطروحات إلى مرحلة التنظير، فأرست بذلك مجموعة من المسائل التأسيسية داخل الحقل المعرفي المعماري، كمفهوم استعمالات الأراضي: التي منها ما هو خاص

بالسكن، ومنها ما هو خاص بالحرف والصناعات، ومنها ما هو خاص بالأسواق وطرق المواصلات.

ومن المسائل التأسيسية التي أرستها الأحكام: مفهوم الخصوصية، ومفهوم الوقاية للذات تمت ترجمتهما معمارياً واستثمارهما في توفير أسباب الراحة والأمان، والحفاظ على القيم الاجتماعية والأخلاقية لأفراد المجتمع. ومن هذه المفاهيم أيضاً مفهوم المتانة⁽¹³⁹⁾، الخاص بالحفاظ على سلامة ومتانة الدور والمنشآت المعمارية الأخرى. ولقد وظفت هذه المفاهيم في عملية التصميم المعماري ضمن الإطار الخاص بممارسة العمارة، والتخطيط العمراني الذي ستوضح نظرياته فيما يلي من دراسة وتحليل.

4-6- الدراسات الخاصة بالأنماط المعمارية

تميز الفكر المعماري العربي الإسلامي بوجود دراسات خاصة بأنماط معينة، كالسكن والمساجد والحمامات والمستشفيات (البيمارستانات).

6-4-1- المساكن

أما عمارة المساكن فقد حظيت بأكثر من دراسة إذ عرض لها الجاحظ والمسعودي، وقد أشرت إليها في مكان سابق من هذه الدراسة. حيث كانت الأولى خاصة بالبيئة الحضرية أو بالعمران الثابت أو بيوت المدر. والثانية كانت خاصة بتخير المكان لمنازل البيئة البدوية أو العمران المتنقل، وسأعرض هنا لمحاولة ثالثة شاملة لعمران البيتين المتنقل والثابت، قام بها ابن قتيبة وأفرد لها كتاباً (باباً) في كتاب الجرائم⁽¹⁴⁰⁾ أسماء "باب الرحل وآلاته والأواني في السفر والحضر والدور والبيوت والأخبية والأبنية". تناول فيه حاجات الإنسان في السفر والإقامة، فعرض لمتاع البيت الضروري في الحاتين، كما عرض للأدوات والآلات المستعملة في بناء الأخبية، ثم عرض للأخبية، فحدد عناصرها، ومواد بنائها، وأجزائها الداخلية، وطريقة بنائها، فحدد وظيفة كل عنصر: "فالسبيج"⁽¹⁴¹⁾ عبارة عن مسح مخطط يكون في البيت يستر به ويفترش، و"الأراض" بساط ضخ من وبر أو صوف، و"الكفاء" الشقة التي تكون في مؤخر الخباء، و"الروحة" سترة في مؤخرة

الخباء، و "الحمائير" حجارة تنصب حول البيت، كبديل للنؤي لمنع دخول مياه الأمطار إليه، و "رواق" البيت "سماوته"، أي ارتفاعه عن الأرض من بعد العمود الأوسط. و "الطوارف" جوانب الخباء، و "السجفان" كاسرات الشمس، و "الأطناب" الجبال التي يشد بها الخباء، و "الصقوب" الأعمدة، واستمر في عرضه لباقي عناصر الخباء مبيناً وظائفها ومكانها في بنية الخباء.

وبالكيفية نفسها عرض للبناء، فصنف أنواع المباني ⁽¹⁴²⁾ تبعاً لطريقة بنائها، فمنها "البروج المشيدة" أي المبنية بالحصص، ومنها البيت "المجرد المسنم"، وهو البيت الطويل المائل السقف، والبيت "المعرس" أي البيت الذي بوسطه عرس (حائط) ليسهل عملية التسقيف، ثم انتقل ليوضح عناصر ⁽¹⁴³⁾ البيت الداخلية فذكر: المخدع والكنة أو السقيفة، والفناء، وعقر الدار وسطها، و "المشارب" الغرف، و "العنة" حظيرة الإبل، و "الكنيف" بيت الخلاء. ثم عرض لألعاب الأطفال ⁽¹⁴⁴⁾ كالأراجيح والزحالف، ثم انتقل ليعرض لمواد البناء ⁽¹⁴⁵⁾ وأدواته، "كالساف، والمدماك، والملاط، والمطمار"، أي الخيط الذي يستعمله البناء، و "الحدأة"، أي الفأس ذات الرأسين، و "الصاقور"، وهي الفأس المدببة الرأس، و "العتلة"، وغير ذلك.

ثم انتقل ليعرض لمتاع ⁽¹⁴⁶⁾ البيت، فعرض للقدور وأدوات الطبخ والأواني، واللافت للنظر أنه عرض لهذه الأواني تبعاً لسعتها ووظيفتها، فيقول: "أعظم الأقداح يكاد يروي عشرين، والصحن مقارب، ثم العس يروي الثلاثة والأربعة، ثم القدح يروي الرجلين... ثم القعب يروي الرجل... وأعظم القصاع الجفنة ثم القصعة تليها، وتسع الخمسة ونحوهم، والمنكلة وتسع الرجلين والثلاثة ثم الصحيفة تسع الرجل ⁽¹⁴⁷⁾".

بهذا الأسلوب العقلاني وضح ابن قتيبة العناصر التقنية، والاعتبارات الترفيهية، والمعايير الوظيفية، التي تحكم التصميم المعماري للبيوت، والذي سنرى له استمراراً في عمارة المساجد، التي ستكون موضوعنا التالي.

6-4-2- المساجد

إن عمارة المساجد جاءت تلبية لحاجة دينية وهي الصلاة، فكان لابد أن يلائم التصميم المعماري للمساجد وظيفة الصلاة، فاجتهد الفقهاء المسلمون في تحديد أحكام الصلاة، وبالذات صلاة الجماعة، وطبقوها على عمارة المساجد. ولقد تعددت وتنوعت اجتهادات الفقهاء في هذا الحقل، وسأكتفي هنا بعرض ما تضمنه كتاب الزركشي: **إعلام الساجد بأحكام المساجد** ، الذي جاء جامعاً لأحكام الصلاة، ولأحكام بناء المساجد، التي أمكن ترجمتها إلى عناصر وفراغات وأشكال معمارية. فشرط الاتصال وتراص الصفوف⁽¹⁴⁸⁾ في الصلاة، يتطلب أن يخلو صحن المسجد من الأعمدة التي تقطع صفوف المصلين. ولما كانت الضرورة الإنشائية تقتضي وجود هذه الأعمدة، فكان لوجودها تخريج عملي عملاً بالقاعدة الشرعية⁽¹⁴⁹⁾: "الضرورات تبيح المحظورات". كما أن مفهوم الاقتداء⁽¹⁵⁰⁾ اقتضى ألا يكون في المساجد حائل⁽¹⁵¹⁾، يمنع تلاحق وتتابع صفوف المصلين، فالمسجد المكون من صحن مسقوف وفناء مكشوف، يقتضي أن يكون الجدار الفاصل بينهما نافذاً، بمعنى أن يكون في هذا الجدار فتحات تحقق الاتصال بين الصحن والفناء، ليتحقق الاقتداء بين الإمام والمصلين. كما أن مفهوم الاقتداء يتطلب تحديد المسافة بين الإمام والمأموم، بحيث لا تزيد على 300 ذراع⁽¹⁵²⁾ أي حوالي 169.5 متراً. والتحديد هنا ليس قانوناً وإنما هو الحل الأمثل لمساحة المساجد، لكي يكون الخطاب وما يتضمنه من وعظ بين الإمام والمأموم، أقوى وقعاً وأقوى تأثيراً. ولكن إذا دعت الضرورة زيادة مساحتها فلا بأس في ذلك عملاً بالقاعدة الشرعية التي تقدم ذكرها. كما أن مكانة المسجد وهيئته اقتضت ألا يكون الدخول إلى صحن الصلاة مباشرة، وهذا ما دفع سيدنا عمر بن الخطاب إلى استحداث الفناء حول الكعبة، ليجعل الوصول إليها مرحلياً، والدخول إليها غاية كما في قوله⁽¹⁵³⁾: "إن الكعبة بيت الله ولا بد للبيت من فناء، وإنكم دخلتم عليها ولم تدخل عليكم...".

مما سبق يتضح دور الأحكام الفقهية في الحقل المعرفي المعماري، وكيف تم ترجمة هذه الأحكام إلى نظريات معمارية تحكم عملية التصميم. وبهذا أستطيع التقرير أن عمارة المساجد هي بداية تنظير الفكر المعماري العربي الإسلامي، ولقد تابعت عملية التنظير في عمارة الحمامات، والمستشفيات، التي ستكون موضوعنا التالي.

6-4-3- الحمامات

حظيت عمارة الحمامات باهتمام مميز، فهي مظهر حضاري، ارتبطت بالنظافة التي هي جزء من الإيمان. ولقد أُفردَ لها أكثر من اثني عشر مؤلفاً⁽¹⁵⁴⁾ منها مؤلف الكوكباني: حقائق التمام في الكلام عن الحمام، والذي سأعرض لما تضمنه، من مفاهيم أثرت في، أو حكمت، تصميم الحمامات.

بين لنا هذا الكتاب أن الحمامات هي أحد الشروط السبعة التي يجب توافرها في المصر "ليعتبر هذا المصر مصرًا"، وهي⁽¹⁵⁵⁾:

المصر في صحة التجميع مشترط فاسمع حقيقة ما يحويه تفصيلاً

والِ وقاضٍ طبيبٌ جامعٌ وكذا سوقٌ ونهرٌ وحمامٌ كما قبلاً

ولقد عرض الكتاب للاعتبارات والشروط الأخلاقية، والاجتماعية، والأمنية، والنفسية، والصحية، والطبية، التي حكمت تصميم الحمامات. فالغرض من عمارة الحمامات هو النظافة ومن ثم العلاج من بعض الأمراض كالحميات وما شابه ذلك.

أما الأسباب الأخلاقية، والاجتماعية، والأمنية، فاقتضت وجود المدخل⁽¹⁵⁶⁾

وبه الإدارة، والمخلع⁽¹⁵⁷⁾ وهو مكان تغيير الملابس ومخزن المناشف والأزر. كما اقتضت

وجود خزائن لحفظ الأمانات الخاصة بالزبائن. أما الأسباب النفسية فاقتضت وجود

الصور الجميلة⁽¹⁵⁸⁾ على الحيطان، لأنها مريحة للنفس مجلبة للفرح والسرور. وأما الأسباب

الصحية فاقتضت أن يكون الحمام عالياً⁽¹⁵⁹⁾ مرتفعاً، ليساعد على تفريق الأنفاس لتقلل

من فساد الهواء وتلوثه. كما اقتضت أن تكون أرضيته من الرخام⁽¹⁶⁰⁾ الذي لا يسمح

بالانزلاق، كما يجب أن تكون مجاري مياه الحمامات كذلك من الرخام لتسمح بجريان

الماء. ويجب ألا توجه الحمامات إلى الجنوب ⁽¹⁶¹⁾، وأن تكثر فيها فتحات الإضاءة.

أما الأسباب الطبية فقد اقتضت أن يقسم الحمام إلى ثلاث غرف: الأولى، مبردة رطبة، والثانية، رطبة والثالثة، مسخنة مجففة. وبذلك يكون الانتقال من هذه الغرف بالتدرج فلا يؤثر ذلك على صحة المستحمين. بهذا أكون قد عرضت لمجموعة المفاهيم والبيانات المتعلقة بتصميم الحمامات، التي ورد ذكرها في حدائق المنام. وربما تكون هناك مفاهيم أكثر دقة في كتب الحمامات الأخرى، وأخص منها: رفع اللثام عن أحكام الحمام ⁽¹⁶²⁾ لابن طولون، وكتاب النزهة الذهبية في أحكام الحمام الشرعية والطبية ⁽¹⁶³⁾ للمناوي. وحيث أنني لست هنا بصدد الحصر، وإنما بصدد التنويه بوجود أنماط معمارية تخضع في تصميمها لمنظومة من الأحكام، والبيانات، والمفاهيم، والنظريات المعمارية، بينت ثلاثة أنماط منها، حتى الآن هي: المساكن والمساجد، والحمامات فسأعرض للنمط الرابع والأخير، وهو عمارة المستشفيات.

4-4-6- المستشفيات

المستشفيات هي أحد الشروط السبعة التي عرضت لها سابقاً، كشروط لاعتبار المصر مصراً، ولقد تعرفنا على عمارة المستشفيات من وثائق الوقف وكتب التاريخ. وسأبين المفاهيم المعمارية التي حكمت عمارتها كما جاء في وثائق الوقف، لأنها حددت منهجية التصميم والبناء، فتكون بذلك أكثر دقة وأعمق دلالة. من تقانات الوصف التي استعملتها كتب التاريخ والجغرافيا والرحلات.

سأعرض فيما يلي للمفاهيم المعمارية التي حوتها وثيقتا ⁽¹⁶⁴⁾ وقف مارستان السلطان قلاوون. الأولى صادرة عن السلطان قلاوون نفسه كأمر للمباشرة بالعمل، أما الثانية فصادرة عن "مجلس الشرع الشريف"، وخاصة بصيانة وتحديث المارستان المذكور. والدارس للوثيقتين، يخلص إلى أنهما أشبه بالدراسات التأسيسية التي تسبق التصميم

المعماري، فقد حوت كل منهما برنامج المشروع (عناصره) ووصفاً لطبيعة هذه العناصر ووظيفتها.

ابتدأت الوقفية الأولى بتحديد الأهداف⁽¹⁶⁵⁾ من بناء المارستان، ثم انتقلت إلى تحديد موقعه، ثم وضحت طبيعة نشاطه، وعرضت للجهازين: الفني والإداري، "كالأطباء، والجراحين (الجراحين)، والطبائعين (أطباء الباطنية)، والكحالين (أطباء العيون)، وطباخي الشراب (الصيدالة)، والمزاور، والطعوم، وصانعي، المعاجين، والأكحال، والأدوية، والمسجلات المفردة والمركبة. وعلى القومة، والفراشين، والخزان، والأمناء، والمباشرين، وغيرهم ..."⁽¹⁶⁶⁾ ثم انتقلت الوقفية لتضع بعض التصورات الإدارية للمارستان، وكيفية تشغيله، وتوفير احتياجاته اليومية من العقاقير، والطعام، واحتياجاته من الأدوات، والأواني، والمفارش، والأغطية، وما إلى ذلك.

أما العناصر المعمارية فقد جاء ذكرها متضمناً وليس صريحاً، كما هو الحال في الوثيقة الثانية، حيث تم تحديد هذه العناصر، ووصف استعمالها بدقة متناهية، وسأعرض لها كما جاءت في هذه الوثيقة توضيحاً لقيمتها العلمية⁽¹⁶⁷⁾: "... وجميع المارستان بصدر الدهليز الجامع لذلك، ومكتب السبيل علو باب القيسارية المستجدة والصهريج بداخل المارستان المرقوم وما يتبع ذلك من الأواوين والقاعات والأروقة والخلاوي والطباق وبيوت المختلين من الرجال والنساء، وأواوين الضعفاء والمرضى وفساقي المياه وبيوت الأخلية ... المسطبة الكبرى بالمارستان المرقوم مرصدة، لجلوس مدرس من الحكماء والأطباء، عارفاً بالطب وأوضاعه ... وجلوس المشتغلين بعلم الطب على اختلافه، وتكون المسطبة المقابلة لها مرصدة لجلوس المستخدمين والمباشرين لإدارة البيمارستان المرقوم، وتكون القاعة التي على يمنة باب الدخول للبيمارستان المرقوم مرصدة لحفظ ما يفرق من حواصل البيمارستان المذكور من أشربة وأكحال وأدوية مفردة ومركبة ومعاجين وأدهان ودرياقات ومراهم وشيافات [فتائل] وغير ذلك، وتكون القاعة المتوصل إليها من

الباب الثالث مرصدة لإقامة الرمداء ... ويكون المخزن الكبير المتوصل إليه من الباب السادس مرصداً لحفظ الأعشاب وتكون القاعة المتوصل إليها من الباب السابع برسم إقامة المرضى والفقراء ... وتكون المسطبة الكبرى المتوصل إليها من الدهليز الذي بأوله باب المطبخ برسم إقامة المجروحات والمكسورات من النساء، وتكون القاعات الثلاث الباقيات من المارستان المذكور المتوصل إلى ذلك من الدهليز المتوصل منه إلى المطبخ المرصد لطبخ أشربه وإلى المخزنين بجوار المرصدين لحفظ حواصل المطبخ مرصدات برسم إقامة المريضات ... وتكون القاعة المرصدة لإقامة المختلين من الرجال ... وكذلك القاعة المجاورة لها فإنها مرصدة برسم المختلات من النساء، وإن مولانا السلطان [قلاوون] ... في الإنشاء على سطح بيوت المختلين من الرجال والنساء مساكن برسم القومة والخدام بالمارستان ...".

وبعمارة المستشفيات يتضح لنا دور الدراسات الخاصة بالأنماط المعمارية في الحقل المعرفي المعماري، وما أرسته من مسائل تأسيسية فيه، وبالذات في الإطار الخاص بممارسة العمارة، والذي تمثل في ترجمة الأحكام الخاصة ببعض المباني إلى مفاهيم، وبيانات تصميم، ونظريات معمارية، تحكم عملية التصميم المعماري. كما تمثل في إشراك المعايير العقلانية، والاعتبارات الأمنية، والنفسية، والصحية، والطبية، في عملية التصميم. على أن أهم مسألة تأسيسية طرحتها الدراسات الخاصة بالأنماط المعمارية هي الدراسات التأسيسية التي تسبق التصميم المعماري، فتصنف متطلباته، وتحدد عناصره، وتحكم منهجيته. فالتصميم جاء تطبيقاً للمتطلبات التي تم تصنيفها، وهي الأنشطة المراد ممارستها داخل البناء. وبهذا تكون الدراسات التأسيسية التي أشرت إليها قد أحدثت ثورة داخل الحقل المعرفي المعماري، تمثلت في أن يكون التصميم موافقاً وملائماً للأنشطة التي سيتم احتواؤها وممارستها داخله. ولقد أثر ذلك على الشكل المعماري الخارجي فنشأت الأنماط المعمارية التي أشرت إليها، والتي شكلت النسيج المعماري للمدينة العربية

الإسلامية، وهو العنصر الأكثر حضوراً في بنية التخطيط العمراني والحضري، الذي سيكون موضوعنا الأخير، الذي أفرزته المصادر المعمارية.

6-5- التخطيط العمراني

عرضت فيما سبق لنظريات عمر بن الخطاب في تخطيط المدن، كما عرضت للتقسيمات السياسية والإدارية للجزيرة العربية، وأشارت إلى استعمال تقانة الألوان في المخططات الهيكلية لأقاليم الجزيرة العربية. كما عرضت إلى دور الأحكام والقوانين المنظمة لأعمال البناء في إرساء بعض المفاهيم التخطيطية، كتحديد استعمالات الأراضي، وحقوق الارتفاق⁽¹⁶⁸⁾، وحقوق استعمال الطرق⁽¹⁶⁹⁾ وغيرها. ثم عرضت للأنماط المعمارية التي تشكل النسيج العمراني داخل المدينة وتؤكد مفهوم استعمالات الأراضي. والحقيقة أن هذه المفاهيم مجتمعة تشكل علم التخطيط العمراني الحضري. وقد وردت هذه المعلومات مجتمعة في المصادر الجغرافية وأدب الرحلات، وفي الدراسات الخاصة بتاريخ المدن، وأخص منها: أخبار مكة، للأزرقي، وتاريخ دمشق، لابن عساكر، وتاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، وكتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، للمقرئزي⁽¹⁷⁰⁾، وسأعرض للأخير لأن مادته أقرب إلى الدراسات التخطيطية منها إلى التاريخية.

ابتدأ الكتاب بالموقع الجغرافي⁽¹⁷¹⁾ العام لمصر، فعرض لخصائصها المناخية والطبوغرافية⁽¹⁷²⁾، ثم عرض لمصادر مصر الطبيعية⁽¹⁷³⁾، ولمواردها الاقتصادية، ولتقسيماتها السياسية والإدارية⁽¹⁷⁴⁾، ثم عرض لطبائع سكانها وسلوكهم، ولأماكن تجمعاتهم البشرية⁽¹⁷⁵⁾، فذكر المدن والقرى، وعرض لتاريخها، وبين خصائصها، ووثق معالمها الآثارية⁽¹⁷⁶⁾.

ثم انتقل إلى مدينة القاهرة، فحدد موقعها⁽¹⁷⁷⁾، وعرض لتنظيمها السياسي والإداري⁽¹⁷⁸⁾، ثم عرض لنسجها المعماري، فتعرفنا على استعمالات الأراضي من

خلال طبيعة ووظيفة الأنماط المعمارية المشكلة للنسيج المعماري، وعلى المناطق السكنية من خلال ما عرض له الكتاب من حارات⁽¹⁷⁹⁾، وخطط⁽¹⁸⁰⁾، وخوخ⁽¹⁸¹⁾. وتعرفنا على المناطق التجارية من خلال ما عرض له الكتاب من قياسر⁽¹⁸²⁾، وأسواق وسويقات⁽¹⁸³⁾، وحكر⁽¹⁸⁴⁾. وكذلك الحال بالنسبة للمناطق الصناعية⁽¹⁸⁵⁾ الرئيسة، التي كانت في منطقة الروضة، أي خارج مدينة القاهرة في عصر المؤلف. وتعرفنا كذلك على المناطق الترفيهية، من خلال ما عرض له من مناظر⁽¹⁸⁶⁾ الخلفاء، ومن الرحاب⁽¹⁸⁷⁾ والبساتين، والبرك⁽¹⁸⁸⁾. كما تعرفنا على شبكة المواصلات، من خلال ما عرض له المؤلف من طرق، وأزقة⁽¹⁸⁹⁾، ودروب⁽¹⁹⁰⁾، وميادين⁽¹⁹¹⁾، وقناطر⁽¹⁹²⁾، وجسور⁽¹⁹³⁾.

وضمن هذه التقسيمات الرئيسة، عرض الكتاب لجميع الأنشطة والخدمات التي كانت في المدينة، فعرض لجميع الجوامع⁽¹⁹⁴⁾، والمساجد، والخوانك⁽¹⁹⁵⁾، والزوايا⁽¹⁹⁶⁾، وحدد مواقعها داخل المناطق السابقة. كما ذكر مباني العبادة اليهودية⁽¹⁹⁷⁾، والمسيحية⁽¹⁹⁸⁾، وحدد مواقعها. كما عرض لمباني الخدمات التعليمية، فذكر مدارس⁽¹⁹⁹⁾ القاهرة، وحدد مواقعها ضمن المناطق السابقة. كما عرض لمباني الخدمات الطبية كالبیمارستانات⁽²⁰⁰⁾، والخدمات العامة كالحمامات⁽²⁰¹⁾، والفنادق، والخانات⁽²⁰²⁾، وحدد مواقعها جميعاً ضمن المناطق السابقة.

فإذا تأملنا منهجية المقريري (776-845هـ/1364=1441م) في توثيقه لواقع حال الإقليم المصري، ولواقع حال مدينة القاهرة في عصره، ولما حوته من نسيج معماري، تم إنجازها ضمن إطار الأحكام والقوانين المنظمة للبناء، وبمنطق الدراسات التأسيسية التي أشرت إليها في الوقفيات، خلصنا إلى أن توثيق المقريري يوضح بل يرسم لنا التنظيم الهيكلي لمدينة القاهرة، بكامل عناصره وكافة أنشطته، والواقع أن هذا التنظيم يمثل حضوراً واضحاً، لآراء ومفاهيم عمر بن الخطاب التخطيطية، وأخص منها المعايير الإستراتيجية في اختيار مواقع المدن، وتخطيط المناطق السكنية.

وأخيراً فإن محاولة المقريري ليست تجميعاً لعناصر ومفاهيم علم التخطيط العمراني التي عرضت لها سابقاً فحسب، بل إطاراً مرجعياً لهذا العلم، له حضوره في الحقل المعرفي المعماري المعاصر.

وبالمصدر المعماري أكون قد عرضت إلى مرحلة تكوين الفكر المعماري العربي الإسلامي، الذي تدرج من بداية واعية، إلى مرحلة تشكل ممنهجة وعقلانية، ثم إلى منظومة فكرية مكتملة التكوين. وخلصت الدراسة من كل ما تقدم عرضه إلى أن الفكر المعماري العربي الإسلامي، بشموليه محتواه وإمكانات أدواته، وآلية إنتاجه فكر مستقل بذاته، محصن بقدراته، له حضوره المعاصر بالرغم من محاولات تغييبه، ولكن ينقصه الاعتراف، ويعوزه التوظيف. أما الاعتراف فيتطلب أن تتبناه كليات العمارة في جامعاتنا العربية، لا كمادة تاريخية معنية بتاريخ بناء بعض الإنجازات المعمارية، وبخصائصها الشكلية، بل كفكر شامل له حضوره في المواد الدراسية الأخرى. وأما التوظيف فيتطلب أن تتبناه المنظمات والمؤسسات البلدية في طروحاتها وتوجهاتها، والمكاتب الاستشارية في ممارستها وفي إنتاجها المعماري، لا كموجة تركب، بل كقناعة فكرية وانتماء حضاري، لأن الفكر المعماري العربي الإسلامي فكر يتصف بالديمومة والاستمرار، ويفرض حضوراً مستمراً، وهذا ما نأمل حدوثه.

الخاتمة

خصصت هذه الدراسة لنشأة الفكر المعماري العربي الإسلامي وتطوره. فعرضت من خلال مقدمة طويلة إلى واقع العمارة في العالم العربي، وبينت سيطرة مناهج ومفاهيم العمارة الغربية في التعليم المعماري وفي الممارسات العملية. وعرضت لدور الاستشراق وعمارة ما بعد الحداثة في تغييب الفكر المعماري العربي الإسلامي، وتشويه مفاهيم العمارة الإسلامية. وبينت كيف شكلت هذه المفاهيم الخاطئة وعي الأكاديميين والممارسين العرب والمسلمين. كما بينت الدراسة كيف أوصلتهم هذه المفاهيم

إلى حالة من التبعية الفكرية والعملية. يستوردون المعرفة ويجترونها اجتراراً، ولا يقوون على إنتاجها، ولا حتى على معارضتها.

ثم عرضت الدراسة للأهداف المنشودة منها، وهي بيان بداية نشأة الفكر المعماري العربي، ومراحل تشكله، حتى اكتمال تكوينه كمنظومة فكرية. وحددت الدراسة منهجها باستنفار مبادئ وقيم ومعايير ومفاهيم الفكر المعماري العربي والعربي الإسلامي. فتللمست الدراسة جذور هذا الفكر في الحضارات السامية العربية، التي تمثل مرحلة العروبة غير الصريحة في تاريخ الجنس العربي. فعرضت لأسباب التواصل العلمي والفكري والتقاني، التي أبجرتها هذه الحضارات: كنظرية المثلث القائم الزاوية، والمقياس الإنساني والنسب، والشبكيات، والأنظمة وأحكام وتشريعات البناء، ولتقانات البناء بالطوب والحجر، ونفت الدراسة الدعاوى اليونانية التي نسبت هذه الإنجازات لها، وفندت الدعاوى اليونانية بالأدلة الآثارية والعلمية.

ثم تواصلت الدراسة لتبين الجذور التاريخية للعرب البائدة، فبينت ما ورد عنها في القرآن الكريم، وعرضت لما نسب إليها من مكتشفات آثارية. كما عرضت لما وثقه المؤرخون المسلمون عن هذه الحضارات، وما نسبوا إليها من أعمال معمارية. وبينت الدراسة أن عمارة العرب البائدة والعاربة لم تشكل بداية للعمارة العربية لأنها لم تترك لنا مفاهيم نظرية مجردة، بل بيئية وتقانية محددة، استنتجت استنتاجاً، واشتقت اشتقاقاً، ولم تطرح بياناً، بمعنى أنها نتاج منهجية التجربة والخطأ، وليست نتاج منهجية التفكير والتأمل.

ثم تللمست الدراسة بداية الفكر المعماري في مرحلة العروبة الصريحة في الجاهلية، بشقيها: الحضري والبدوي، ووجدت في الشعر الجاهلي، والمصادر العربية الإسلامية، ما يؤكد وجود بداية غير واعية. فقد أفرز هذان المصدران مدرستين: آثارية، وتاريخية، حوتا من المفاهيم المعمارية ما جعل من هذه البداية مشروع فكري تحت التأسيس. لكن

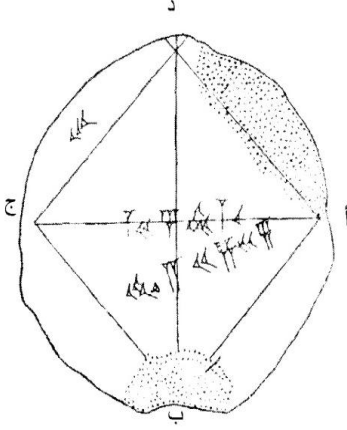
الإسلام أعاد تشكيل وتحديد مسار هذا المشروع طبقاً لنظامية: العقدي، والمعرفي، فحول البداية غير الواعية للفكر المعماري العربي في الجاهلية إلى بداية واعية في الإسلام. وارتقى بها من مشروع فكري تحت التأسيس إلى مشروع فكري قيد التأسيس.

ثم تواصلت الدراسة لتحديد مصادر الفكر المعماري العربي الإسلامي الستة: المصادر الدينية، والأدبية، والجغرافية، والتاريخية، والعلمية، والمعمارية. ثم عرضت الدراسة لدور المصدر الديني في رسم وتحديد مسار بداية الفكر المعماري العربي الإسلامي كمشروع فكري قيد التأسيس، وبينت الدراسة الطروحات الخمسة التي حكمت مسار المشروع وهي: الطرح الديني، والاجتماعي، والتقاني، والجمالي، والوظيفي.

ثم تواصلت الدراسة لتبين كيف عملت المصادر الأدبية، والجغرافية، والتاريخية والعلمية، على تشكيل فكر المشروع. ثم بينت الدراسة كيف انتقل هذا المشروع من مرحلة التشكل في المصادر السابقة، إلى مرحلة تكوين المشروع كظاهرة، أو منظومة فكرية، في المصادر المعمارية. فبدايته واعية، وتشكله ممنهج وعقلاني، وتكوينه علمي منتظم.

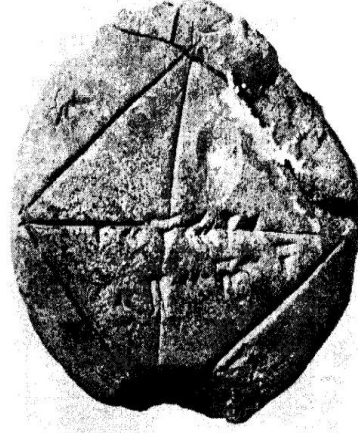
وخلصت الدراسة إلى أن الفكر المعماري العربي الإسلامي شمولي المحتوى، مستقل بذاته، ومحص بقدراته، له حضوره المعاصر بالرغم من محاولات تغييبه، ولكن ينقصه الاعتراف ويعوزه التوظيف من الأكاديميين والممارسين العرب.

الصور والأشكال



الشكل (رقم - 1)

رسم توضيحي لنظرية المثلث القائم الزاوية على
قرص من الطين - الحضارة البابلية 1600 ق.م.



الصورة (رقم - 1)

رسم توضيحي لنظرية المثلث القائم الزاوية على
قرص من الطين - الحضارة البابلية 1600 ق.م.

نقلًا عن: The Beginning of Architecture

نظرية المثلث القائم الزاوية

$$\begin{aligned} \text{مساحة المربع أ ب ج د} &= (\text{أ ب})^2 = (\text{أ هـ})^2 + (\text{ب هـ})^2 \\ \text{مساحة المربع أ ب ج د} &= (\text{أ ب})^2 = (\text{ب ج})^2 = (\text{ج د})^2 = (\text{أ د})^2 = \text{أ ب} \times \text{ب ج} = \text{أ د} \times \text{ج د} \\ \text{مساحة المربع أ ب ج د} &= \text{مساحة المثلثين: أ ب ج} + \text{أ ج د} = \text{أ ب د} + \text{ب ج د} \end{aligned}$$

$$= \frac{\text{أ هـ} \times \text{ب د}}{2} + \frac{\text{ج هـ} \times \text{ب د}}{2}$$

ولما كان قطري المربع أ ب د متعامدين فإنهما ينصفان بعضهما البعض

إن: أ هـ = هـ ج = ب هـ = هـ د

$$\text{مساحة المثلث أ ب د} = \frac{\text{أ هـ} \times \text{ب د}}{2} = \text{أ هـ} \times \text{ب هـ} = (\text{أ هـ})^2 = (\text{ب هـ})^2$$

$$\text{مساحة المثلث ب ج د} = \frac{\text{ج هـ} \times \text{ب د}}{2} = \text{ج هـ} \times \text{ب هـ} = (\text{ب هـ})^2 = (\text{ج هـ})^2$$

$$\text{مساحة المربع} = \text{مساحة المثلثين} = \text{أ ب ج} + \text{أ ج د} = \text{أ ب د} + \text{ب ج د} = (\text{أ هـ})^2 + (\text{ب هـ})^2$$

أي أن مربع ضلع الوتر في المثلث القائم الزاوية = مربع طول الضلعين الآخرين.

أما نظرياً فإن المربع أ ب ج د = مساحة المثلثات الأربعة المكونة له، وهذا ما قصد بتوضيحه في الرسم من قبل

البابليين

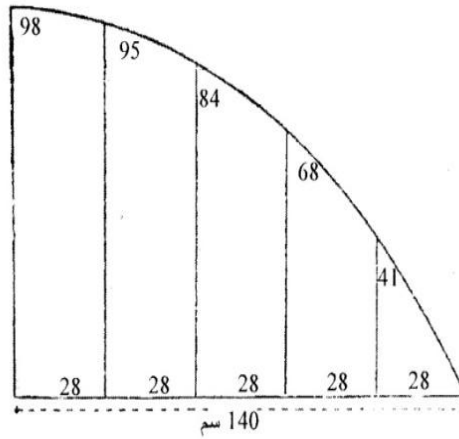
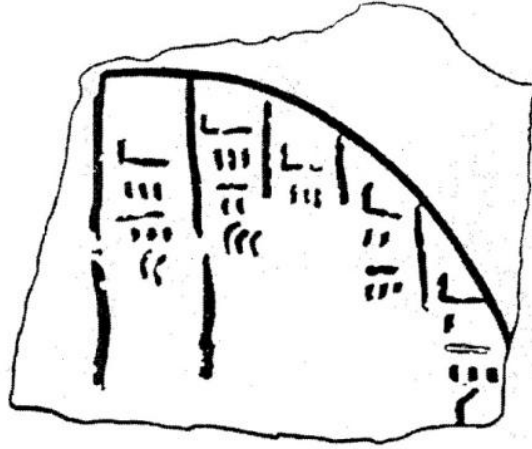


صورة (رقم -2)

الملك السومري والمعمار كوديا

2124-2144 ق. م. يتفحص مخططاً لمعبد لكش، بلاد الرافدين (العراق)

نقلاً عن: The Beginning Of Architecture

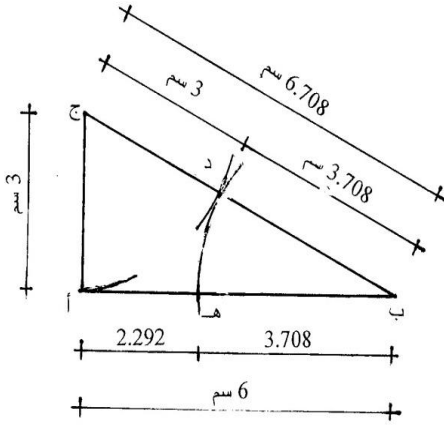


الشكل (رقم 2)

الصورة (رقم 3)

الصورة لرسم على الحجر الجيري بطول 180 سم يمثل منحني بالإحداثيات، والشكل (رقم 2) رسم توضيحي للصورة، التي اكتشفت أمام هرم سوزر - منطقة سقارة - الجيزة 2800 ق. م.

نقلًا عن: Design In Architecture



شكل (رقم - 3)

القطاع الذهبي

نقلًا عن: The Beginning of Architecture

نرسم مثلث قائم الزاوية أ ب ج ، يكون طول ضلعه أ ب = 2 أ ج
نفتح الفرجار بطول الضلع أ ج ونركز في النقطة ج ونرسم قوس يقطع الوتر ب ج في النقطة د
نركز النقطة ب ونفتح الفرجار بطول الضلع ب د ونرسم قوس يقطع الضلع أ ب في النقطة هـ
فتقسم النقطة هـ الضلع أ ب بنسبة القطاع الذهبي وتحسب النسبة كالتالي:

$$(ب ج)^2 = (أ ب)^2 + (أ ج)^2 = 45 = 9 + 36$$

$$ب ج = \sqrt{45} = 6.708 \text{ سم}$$

$$أ ج = د ج = 3 \text{ سم}$$

$$ب د = 3 - 6.708 = 3.708 \text{ سم}$$

$$ب د = ب هـ = 3.708 \text{ سم}$$

$$أ هـ = 6 - 6.708 = 2.292 \text{ سم}$$

$$نسبة القطاع الذهبي = النسبة \Phi = \frac{أ هـ}{ب هـ} = \frac{ب د}{أ ب} = \frac{2.292}{3.708} = \frac{3.708}{6} = 0.618$$

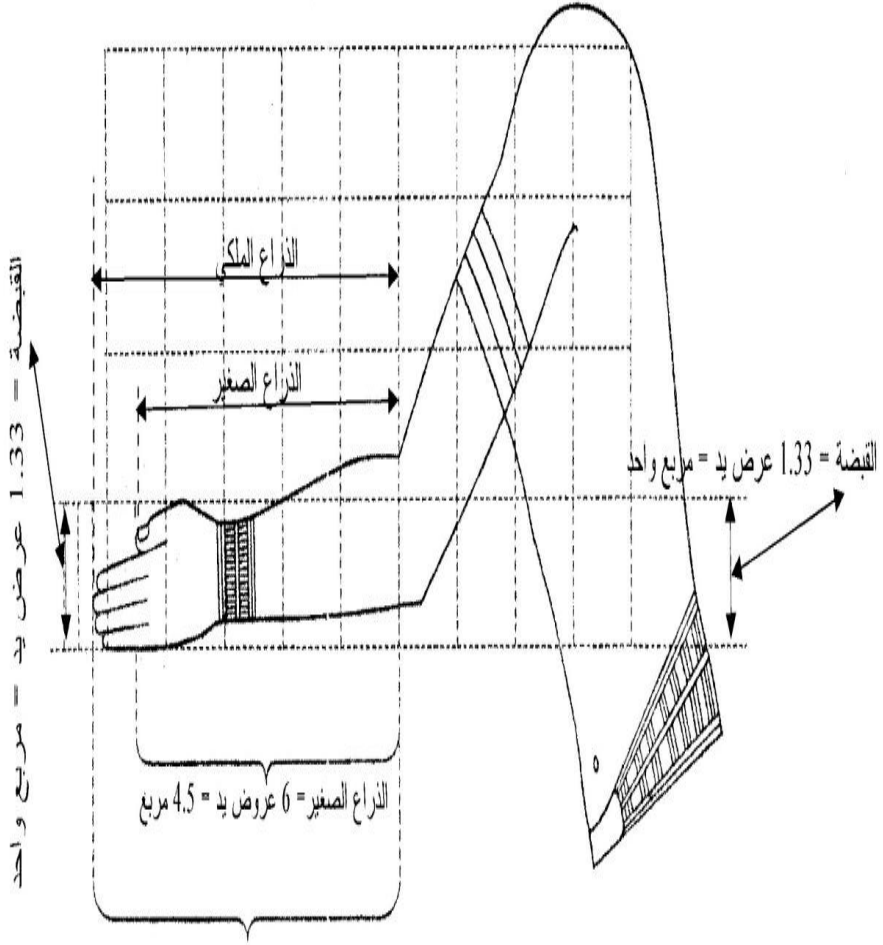
وبهذه النسبة (نسبة القطاع الذهبي) تم تحديد النسبة التقريبية π .

وقد وجد أن نسبة محيط قاعدة الهرم المربعة إلى ضعف ارتفاعه = النسبة التقريبية (π) = نسبة القطاع الذهبي

$$0.617 = \frac{1}{\Phi} = \left(\frac{\pi}{4} \right)^2 = \left(\frac{3.1416}{4} \right)^2$$

وقد استعملت النسبة الذهبية في تحديد ميل سطح الهرم بالنسبة لارتفاعه.

أنظر الهامش (رقم - 14)



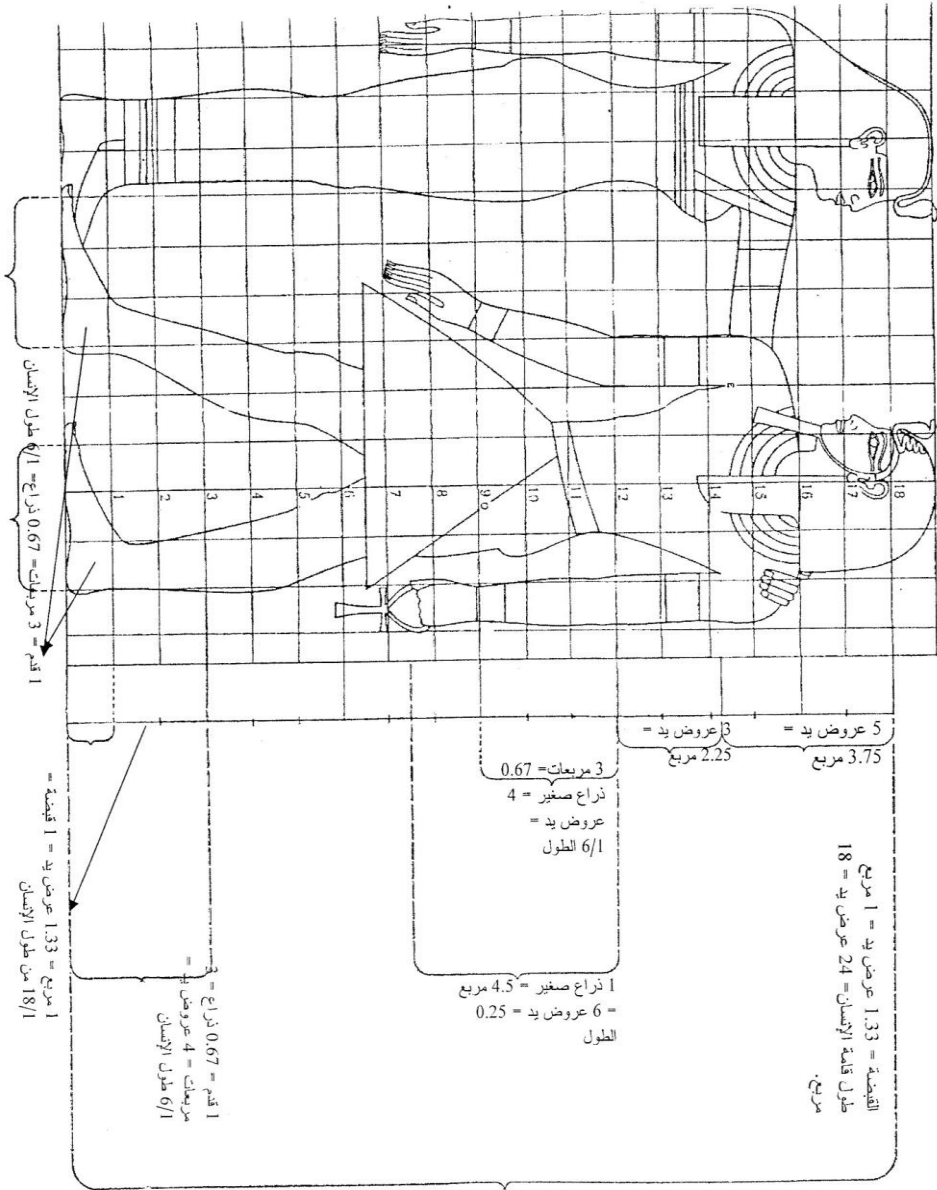
القبضة = عرض اليد بأصابعها الخمسة

الذراع الصغير = المسافة من منتصف الكوع الداخلي وحتى نهاية الإبهام

الذراع الملكي = المسافة من منتصف الكوع الداخلي وحتى نهاية الخنصر

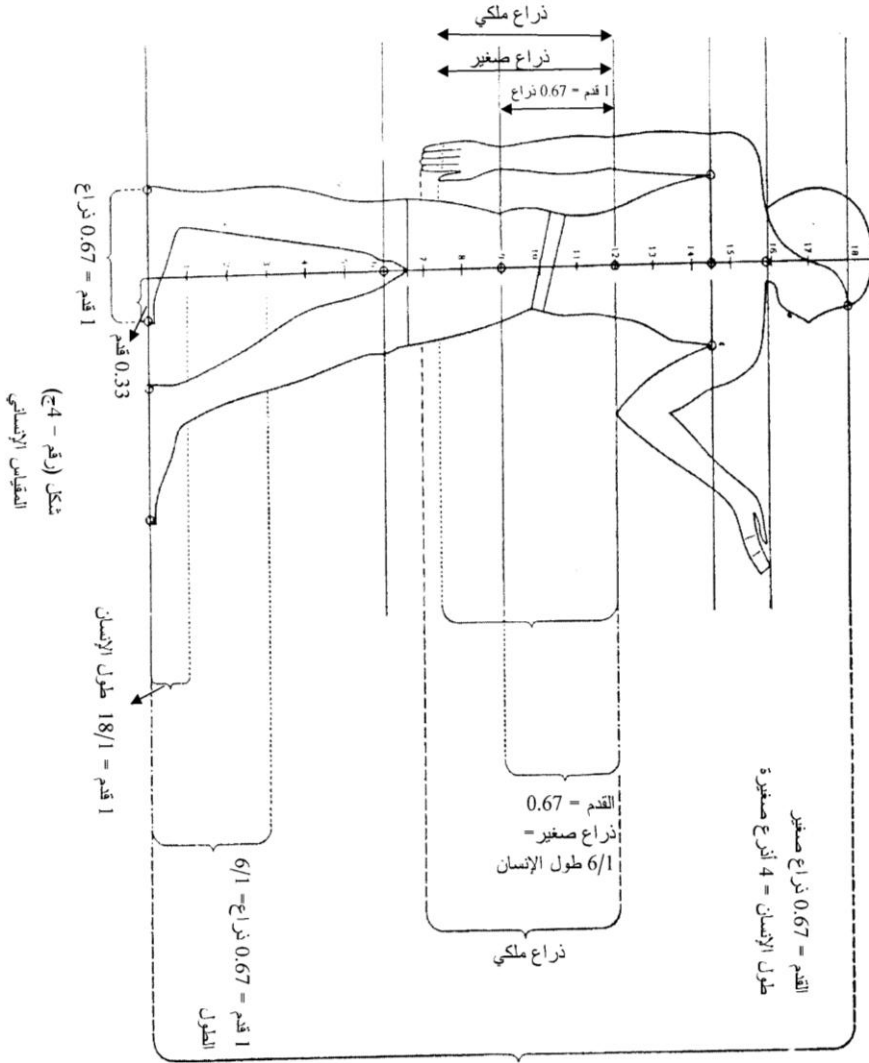
شكل (رقم - 14)

الذراع وحدة القياس في الحضارة المصرية القديمة (أصل المقياس الإنساني)

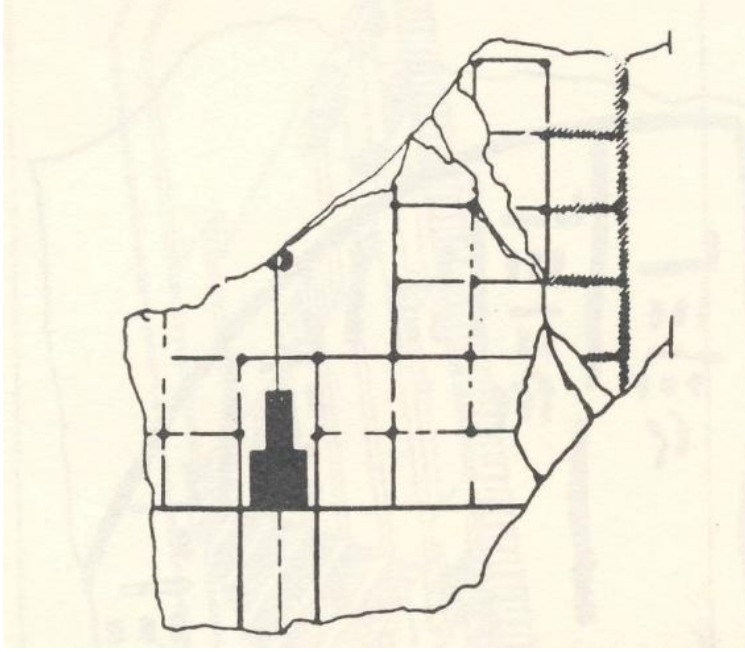


الشكل (رقم -4ب)

المقياس الإنساني في الحضارة المصرية القديمة



طول الإنسان = 4 أذرع صغيرة



الشكل (رقم -5)

رسم لشبكة لتصميم حديقة أمام معبد الدير البحري، بمصر 2100 ق. م.

نقلًا عن Design In Architecture:



الصورة (رقم -4)

صورة للمكتشفات الأثرية المعمارية المنسوبة لقوم عاد من العرب البائدة، منطقة الأحقاف - عُمان



الصورة (رقم -5)

صورة للمكتشفات الأثرية المعمارية المنسوبة لقوم عاد من العرب البائدة منطقة، الأحقاف - عُمان



الصورة (رقم -6)

صورة للمكتشفات الأثرية المعمارية المنسوبة لقوم عاد من العرب البائدة، منطقة الأحقاف - عُمان



الصورة (رقم -7)

صورة للمكتشفات الأثرية المعمارية المنسوبة لقوم عاد من العرب البائدة، منطقة الأحقاف - عُمان

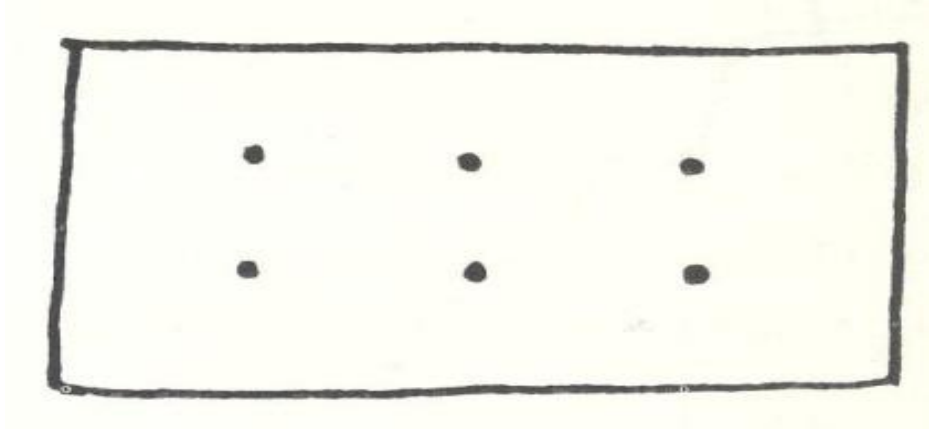


الصورة (رقم -8)

تكوين الصورة بالغرفة المظلمة - الحسن بن الهيثم القرن 4\ 5 الهجري - 10\ 11 الميلادي بداية اختراع آلة

التصوير

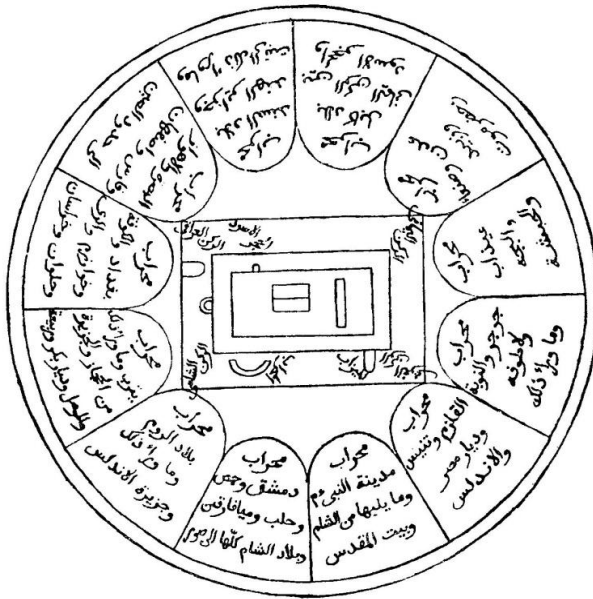
(نقلا عن 1001 Inventions)



شكل (رقم-6)

مسقط أفقي للكعبة

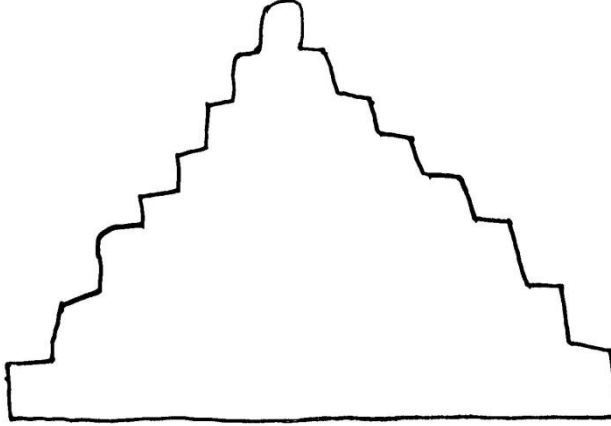
نقلًا عن مخطوط أخبار مكة (256هـ-864م)، والرسم كما جاء بالمخطوط



شكل (رقم - 7)

مسقط يوضح الموقع العام للكعبة وللمدينة مكة واتجاه القبلة للعالم

نقلًا عن كتاب القزويني (600-682هـ\1203-1283م) آثار البلاد وأخبار العباد

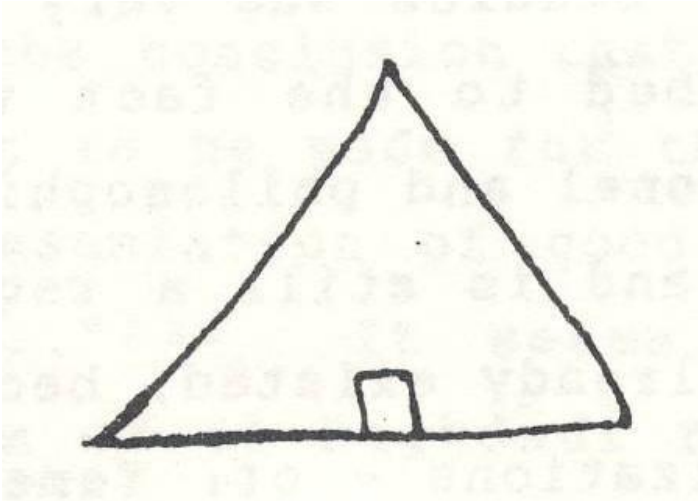


شكل (رقم -8)

واجهة الهرم المدرج

نقلًا عن كتاب الغرناطي، (473-565هـ\1080-1170م) تحفة الألباب ونخبة الاعجاب

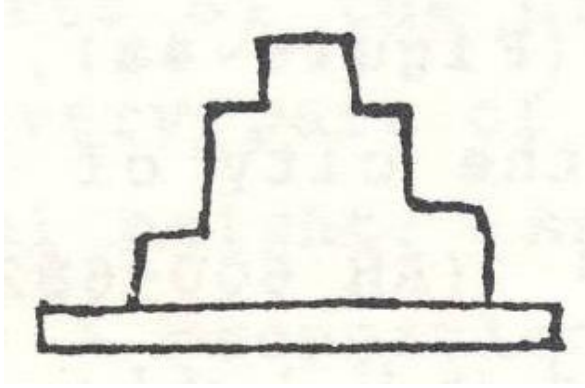
الرسم كما جاء بالمخطوط



شكل (رقم -9)

واجهة الهرم الأملس

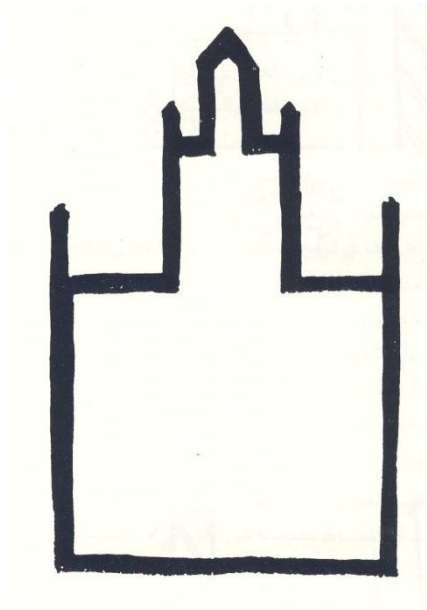
نقلًا عن كتاب الغرناطي، (473-565هـ/1080-1170م) تحفة الألباب ونخبة الاعجاب
الرسم كما جاء بالمخطوط



شكل (رقم -10)

واجهة مسلة عين شمس

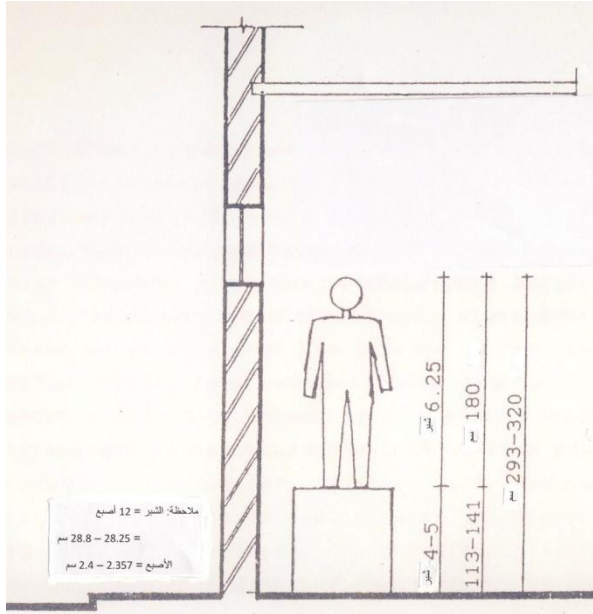
نقلًا عن كتاب الغرناطي، (473-565هـ/1080-1170م) تحفة الألباب ونخبة الاعجاب
الرسم كما جاء بالمخطوط



شكل (رقم -11)

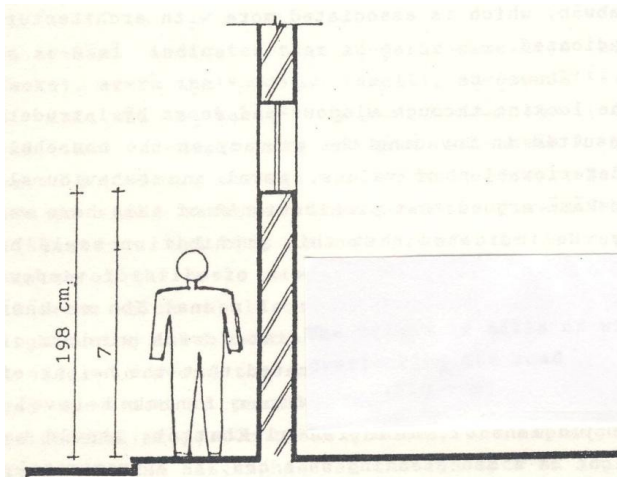
واجهة منارة الإسكندرية

نقلًا عن كتاب القزويني (600-682هـ/1203-1283م) آثار البلاد وأخبار العباد



شكل (رقم-12)

قطاع يوضح ارتفاع الكوى (الشبابيك) بين الدور



شكل (رقم-13)

قطاع يوضح ارتفاع الكوى (الشبابيك) المطلة على الطريق

الهوامش

٧٠. القرآن الكريم: النحل، الآية: 12
٧١. القرآن الكريم: النحل، الآيتان: 80-81
٧٢. القرآن الكريم: التوبة، الآية: 109
٧٣. القرآن الكريم: الحجر، الآية: 82
٧٤. أنظر: قطب، سيد، (1980)، التصوير الفني في القرآن الكريم، ط 9، دار المعارف، القاهرة، ص: 34-61.
٧٥. أنظر: المرجع السابق.
٧٦. أنظر: ابن حجر العسقلاني (773-852هـ/1371-1448م)، المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، 3 أجزاء، المطبعة العصرية، 1972م، الكويت ج 3/202.
٧٧. أنظر: الزركشي، (745-794هـ/1344-1492م)، إعلام المساجد بأحكام المساجد، تحقيق أبو الوفا المراغي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية 1982م، القاهرة، ص: 226-275.
٧٨. أنظر: المرجع السابق
٧٩. أنظر: المرجع السابق
٨٠. أنظر: الطبري، (224-310هـ/839-923م)، تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبري)، 11 جزءاً، تحقيق محمد أبو الفضل، دار المعارف، 1977م، القاهرة، ج 3/590-597.
- أنظر: سلمان، عيسى وآخرون، (1982م)، العمارة العربية الإسلامية في العراق، دار الرشيد، بغداد، ص: 45-67.
٨١. أنظر: ابن خلدون، المقدمة، مرجع سابق، ص: 347.
٨٢. أنظر: الجاحظ، (150-255هـ/767-869م)، كتاب الحيوان، 7 أجزاء، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة مصطفى الباي الحلبي، 1938م، القاهرة، ج 1/72.
٨٣. أنظر: المرجع السابق، ج 1/73-75.
٨٤. أنظر: الجاحظ، رسالة التزييع والتدوير، الشركة اللبنانية للكتاب، بدون تاريخ نشر، بيروت، ص-40.
٨٥. أنظر: المرجع السابق، ص-40
٨٦. أنظر: المرجع السابق، ص-40
٨٧. أنظر: المرجع السابق، ص-40
٨٨. أنظر: الجاحظ، البخلاء، دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ نشر، بيروت، ص: 64-72.
٨٩. أنظر: ابن قتيبة، عيون الأخبار، 4 أجزاء، دار الكتاب العربي، بدون تاريخ نشر، بيروت، ج 1/313.

٩٠. أنظر: المرجع السابق، ج 312/1
٩١. أنظر: المرجع السابق، ج 311/1
٩٢. أنظر: المرجع السابق، ج 311/1
٩٣. أنظر: ابن رشيقي، العمدة، مرجع سابق، ج 121/1.
٩٤. أنظر: الهامشين رقم: 35، 39
٩٥. أنظر: المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مرجع سابق، ص: 9.
٩٦. أنظر: المرجع السابق، ص-9
٩٧. أنظر: المرجع السابق، ص ص: 156-159
- : ابن بطوطة، (757هـ-1356م)، تحفة النظار في غرائب الأمصار، دار الكتاب اللبناني، بدون تاريخ
نشر، بيروت، ص ص: 61، 79، 90.
٩٨. أنظر: ابن سينا، (370-428هـ/981-1037م)، القانون في الطب، 5 أجزاء، تحقيق ادوارد القس،
عز الدين للنشر، 1987م، بيروت، ج 122/1-128.
٩٩. أنظر: المرجع السابق، ج 122/1-128.
١٠٠. أنظر: المرجع السابق، ج 128/1.
١٠١. أنظر: إخوان الصفا، (القرن 4هـ-10م)، رسائل إخوان الصفا، 4 أجزاء، تحقيق بطرس البستاني،
دار صادر، بدون تاريخ نشر، بيروت، ج 108-97/1.
١٠٢. أنظر: المرجع السابق، ج 252/1.
١٠٣. أنظر: ابن الهيثم، الحسن، (354-432هـ/965-1041م)، كتاب المناظر، المقالات: 1-3،
تحقيق عبد الحميد صبرا، منشورات المجلس الوطني للثقافة، 1983م، الكويت، ص: 216-338.
١٠٤. أنظر: المرجع السابق، ص: 230-338
١٠٥. أنظر: المرجع السابق، ص-243
١٠٦. أنظر: المرجع السابق، ص-243
١٠٧. أنظر: الأزرق، أخبار مكة، مرجع سابق، جزءان.
- : باسلامة، حسين، (1400هـ-1980م)، تاريخ عمارة المسجد الحرام، ط 3، تهامة للنشر،
جدة.
- : باسلامة، حسين، (1402هـ-1984م)، تاريخ الكعبة، ط 2، تهامة للنشر، جدة.
١٠٨. أنظر: الزركشي، إعلام المساجد بأحكام المساجد، مرجع سابق.

١٠٩. أنظر: السيوطي، شمس الدين، (813-880هـ/1410-1475م)، إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، جزوان، تحقيق الدكتور أحمد رمضان أحمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1982، القاهرة.
١١٠. أنظر: الأزرق، أخبار مكة، مرجع سابق، ج1/167.
١١١. أنظر: القزويني، زكريا، (600-682هـ/1203-1283م)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بدون تاريخ نشر، بيروت، ص:115.
١١٢. أنظر: السيوطي، إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، مرجع سابق، ج1/241.
١١٣. أنظر: الهامش رقم 35.
١١٤. أنظر: المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، مرجع سابق.
١١٥. أنظر: البكري، معجم ما استعجم، مرجع سابق.
- : الحموي، ياقوت، معجم البلدان، مرجع سابق.
١١٦. أنظر: زيات، حبيب، (1938م)، الديارات النصرانية في الإسلام، مجلة الشرق، عدد، تموز - أيلول، السنة 36، ص:289-417.
- : الأصبهاني، أبو الفرج، (284-356هـ/898-967م)، الديارات، تحقيق جلال عطية، دار رياض الريس، لندن، ص:27-31.
١١٧. أنظر: المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، مرجع سابق، ج2/225-256.
١١٨. أنظر: المرجع السابق، ج2/387-392.
١١٩. أنظر: البغدادي، الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، مرجع سابق.
١٢٠. أنظر: الغرناطي، شهاب الدين، (473-565هـ/1080-1170م)، تحفة الألباب ونخبة الإعجاب، مخطوط محفوظ بالمتحف البريطاني، رقم:3127.
- حقق المخطوط د. إسماعيل العربي، ونشرته دار الجيل بيروت. ولكن الكتاب المحقق يخلو من الرسومات. كما يوجد تصحيح باسم المؤلف، ففي الكتاب المحقق اسمه عبد الرحيم الغرناطي؟! والرسومات نقلت عن المخطوط.
١٢١. أنظر: زيات، حبيب، الديارات النصرانية في الإسلام، مرجع سابق، ص:293.
١٢٢. أنظر: القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، مرجع سابق، ص:146.
١٢٣. : قضى البيروني 40 عاماً في الهند، درس خلالها علومهم وفنونهم، ولغاتهم.
- أنظر: البيروني، (362-440هـ؟ 973-1048م)، الآثار الباقية من القرون الخالية، طبع في لبيزغ، 1978.

: البيروني، كتاب فيتحقيق ما للهند من مقولة للعقل مقبولة أو مردولة، دائرة المعارف العثمانية،

1958م، حيدر آباد، الهند.

١٢٤. أنظر: الهمداني، الاكليل، مرجع سابق، ج8.

١٢٥. أنظر: ابن قدامة، موفق، (630هـ-1232م)، المغني والشرح الكبير، 12 جزءاً، 14 مجلدات، تحقيق مجموعة من العلماء، دار الكتاب العربي، 1403هـ-1983م، بيروت، ج5/33-53.

١٢٦. أنظر: ابن دينار، عيسى، المتوفى (212هـ-827م)، كتاب الجدار، مفقود.

: التطيلي، عيسى بن موسى، المتوفى (386هـ-966م)، كتاب الجدار، مخطوط محفوظ بدار الكتب الوطنية، بتونس، رقم 15227.

١٢٧. أنظر: ابن الرامي، المتوفى (734هـ-1333م)، الإعلان بأحكام البنين، تحقيق الباحث عبد الرحمن بن صالح الأطرم، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية 1403هـ-1983م.

١٢٨. أنظر: مجلة الأحكام العدلية، (1286هـ-1865م)، المادة 87.

١٢٩. أنظر: ابن الرامي، الإعلان بأحكام البنين، مرجع سابق، ص: 7-83.

١٣٠. أنظر: المرجع السابق، ص: 97-103.

١٣١. أنظر: المرجع السابق، ص: 104-105.

١٣٢. أنظر: المرجع السابق، ص: 107-117.

١٣٣. أنظر: المرجع السابق، ص-192.

١٣٤. أنظر: المرجع السابق، ص: 123-140.

١٣٥. أنظر: المرجع السابق، ص-124.

١٣٦. أنظر: المرجع السابق، ص-125.

١٣٧. : الشبر = 28.248سم

ارتفاع السرير = $28.248 \times 4 = 113$ سم ، أو $28.248 \times 5 = 141.24$ سم

متوسط ارتفاع السرير = $113 + 141.24 = 127.12$ سم = 120 سم.

ارتفاع جلسة الشباك = ارتفاع السرير + طول قامة الرجل = $120 + 180 = 300$ سم.

أنظر: المرجع السابق، ص-124

١٣٨. : يكون ارتفاع الجلسة = 7 أشبار $\times 28.248 = 198$ سم.

أنظر : المرجع السابق، ص-125

١٣٩. أنظر: المرجع السابق، ص: 400-406

١٤٠. أنظر: ابن قتيبة، (213-276هـ/828-889م)، كتاب الجرائيم، باب كتاب الرجل والمنزل، مخطوط محفوظ بالمكتبة الظاهرية، ونشر كتاب الرجل والمنزل، بمجلة المشرق، المجلد 11، 1908م، ص 440-453.

١٤١. أنظر: المرجع السابق، ص - 444

١٤٢. أنظر: المرجع السابق، ص - 446

١٤٣. أنظر: المرجع السابق، ص - 446

١٤٤. أنظر: المرجع السابق، ص - 448

١٤٥. أنظر: المرجع السابق، ص - 446

١٤٦. أنظر: المرجع السابق، ص - 449

١٤٧. أنظر: المرجع السابق، ص ص: 450-451

١٤٨. أنظر: الزركشي، إعلام الساجد بأحكام المساجد، مرجع سابق، ص ص: 86-92.

١٤٩. أنظر: مجلة الأحكام العدلية، مرجع سابق، المادة 21.

١٥٠. أنظر: الزركشي، إعلام الساجد بأحكام المساجد، مرجع سابق، ص ص: 86-92.

١٥١. أنظر: المرجع السابق، ص - 89

١٥٢. أنظر: المرجع السابق، ص - 88

١٥٣. أنظر: المرجع السابق، ص - 57

١٥٤. وردت أسماء هذه المؤلفات في كتاب الكوكباني، حقائق المنام في الكلام على ما يتعلق بالحمام. أنظر: الكوكباني، أحمد، المتوفى، (1153هـ-1740م)، حقائق المنام في الكلام على ما يتعلق بالحمام، تحقيق عبد الله الحبشي، الدار اليمنية للنشر، ط1406هـ-1986م، ص ص: 9-11.

١٥٥. أنظر: المرجع السابق، ص - 91

١٥٦. أنظر: المرجع السابق، ص - 96

١٥٧. أنظر: المرجع السابق، ص - 96

١٥٨. أنظر: المرجع السابق، ص - 35

١٥٩. أنظر: المرجع السابق، ص - 36

١٦٠. أنظر: المرجع السابق، ص - 37

١٦١. أنظر: المرجع السابق، ص - 39

١٦٢. : ورد اسم هذا الكتاب في مؤلف الكوكباني، ولم يشر المحقق إلى مكان وجوده، ص - 9.

١٦٣. : ورد اسم هذا الكتاب في مؤلف الكوكباني، ولم يشر المحقق إلى مكان وجوده، ص - 9.

١٦٤. وردت هاتان الوثيقتان في كتاب تاريخ البيمارستانات في الإسلام. أنظر: عيسى، أحمد، (1401هـ-1981م)، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، دار الرائد العربي، بيروت، ص ص: 134-158.

١٦٥. أنظر: المرجع السابق، ص ص: 134-139

١٦٦. أنظر: المرجع السابق، ص -139

١٦٧. أنظر: المرجع السابق، ص -152

١٦٨. أنظر: ابن الرامي، الإعلان بأحكام البنين، مرجع سابق، ص -143

١٦٩. أنظر: المرجع السابق، ص ص: 388-397

١٧٠. أنظر: المقرئ، أحمد، (776-845هـ / 1364-1441م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط

والآثار، جزءان، دار صادر، بدون تاريخ نشر، بيروت.

١٧١. أنظر: المرجع السابق، ج 1 / 14-18، 50-72

١٧٢. أنظر: المرجع السابق، ج 1 / 123

١٧٣. أنظر: المرجع السابق، ج 1 / 50-68، 100-111

١٧٤. أنظر: المرجع السابق، ج 1 / 72-74

١٧٥. أنظر: المرجع السابق، ج 1 / 72-74، 128-250

١٧٦. أنظر: المرجع السابق، ج 1 / 100-124

١٧٧. أنظر: المرجع السابق، ج 1 / 348-383

١٧٨. أنظر: المرجع السابق، ج 1 / 383-408، 463-464

١٧٩. أنظر: المرجع السابق، ج 2 / 2-23

١٨٠. أنظر: المرجع السابق، ج 2 / 23-36

١٨١. أنظر: المرجع السابق، ج 2 / 45-46

١٨٢. أنظر: المرجع السابق، ج 2 / 86-91

١٨٣. أنظر: المرجع السابق، ج 2 / 94-107

١٨٤. أنظر: المرجع السابق، ج 2 / 114-120

١٨٥. أنظر: المرجع السابق، ج 2 / 189-197

١٨٦. أنظر: المرجع السابق، ج 1 / 465-490

١٨٧. أنظر: المرجع السابق، ج 2 / 47-51

١٨٨. أنظر: المرجع السابق، ج 2 / 152-165

١٨٩. أنظر: المرجع السابق، ج 2 / 44
١٩٠. أنظر: المرجع السابق، ج 2 / 37-44
١٩١. أنظر: المرجع السابق، ج 2 / 197-200
١٩٢. أنظر: المرجع السابق، ج 2 / 146-151
١٩٣. أنظر: المرجع السابق، ج 2 / 165-170
١٩٤. أنظر: المرجع السابق، ج 2 / 244-331
١٩٥. أنظر: المرجع السابق، ج 2 / 414-426
١٩٦. أنظر: المرجع السابق، ج 2 / 430-436
١٩٧. أنظر: المرجع السابق، ج 2 / 464
١٩٨. أنظر: المرجع السابق، ج 2 / 170
١٩٩. أنظر: المرجع السابق، ج 2 / 362-403
٢٠٠. أنظر: المرجع السابق، ج 2 / 405-408
٢٠١. أنظر: المرجع السابق، ج 2 / 79-85
٢٠٢. أنظر: المرجع السابق، ج 2 / 91-94

Arab-Islamic architectural thought Beginning – conformation –
the configuration

(Section II)

D. Abed Al Badi

Architectural consultant/Vice-President of the Jordanian
Society for the History of Science/Amman – Jordan

This study devoted to the emergence of the Arab-Islamic architectural thought and its development. Introduced through a lengthy introduction to the reality of architecture in the Arab world, showed the control methods and concepts of Western architecture in architectural education and in practice. And offered the role of Orientalism and post-modern architecture in the absence of Arab-Islamic architectural thought, and distort the concepts of Islamic architecture. It showed how to set up these misconceptions awareness of academics and practitioners, architects, Arabs and Muslims. The study also demonstrated how these concepts brought them to a state of dependency and intellectual process. Import knowledge and Ajtrunha Ajtarara not afford to produce them, not even to oppose it. Then offered to study for their intended objectives, a statement of the beginning of the emergence of Arab architecture, thought, and the stages of formation, until the completion of its composition as a system of thought. The study identified Mohammed Shahadeh its approach to the principles and values, standards and concepts of architectural thought, the Arab and Arab-Islamic. Vtelmust study the roots of this ideology in the High Arab civilizations, which represents the stage of Arabism is not

explicit in the history of the Arab race. Introduced for reasons of scientific communication, intellectual, technological, carried out by these civilizations: theory right triangle, the human scale and proportions, and reticulocytes, and regulations and the provisions of the zoning regulations, and technologies for construction with brick and stone, and denied that the study claims the Greek attributed these achievements have, and refuted claims the Greek evidence of archaeological and scientific. Then continued the study to show the historical roots of the extinct Arabs, she stated what was reported in the Koran, and the rates offered to them by archaeological discoveries. It also offered to the Muslim historians and confident that all these civilizations, and attributed to the work of architecture. The study showed that the architecture Perishing Arabs and Arabh did not constitute the beginning of building the Arab because she did not leave us the concepts of abstract theory, but environmental and Tghanih specific, concluded that conclusion, and I miss Achtaakkaka, and did not put a statement, meaning they are the product of a systematic trial and error, and not the product of a systematic reflection and meditation. Then the start of the study Telmust architectural thought in the process of Arabism explicit in ignorance, in both its parts: urban and Bedouin, and found in pre-Islamic poetry, Islamic and Arab sources, confirms the presence of early non-conscious. These two sources has resulted in two schools: archaeological, historical, architectural concepts of a whale that has made this first intellectual project under construction. However, Islam is re-shaping and determining the course of this project in accordance with the order: nodal, and cognitive, Around the beginning of thought is conscious of Arab architecture in ignorance

to the beginning of conscious in Islam. And climbed out of the intellectual project under construction to the intellectual project under establishment. Then continued the study to determine the sources of the Arab-Islamic architectural thought six: religious sources, and literary, and geographical, historical, scientific, and architectural. Then offered to the study of the role of religion in the source drawing and specify the path to the start of the Arab-Islamic thought as a project architect under intellectual establishment, and the study showed the five propositions, which ruled the course of the project: the placement of religious, social, technological, and aesthetic, and functional. Then continued to show how the study worked literary sources, and geographical, historical and scientific thought on the formation of the project. The study then showed how this project moved from the stage of formation in the previous sources, to the stage of formation of the project as a phenomenon, or system of thought, sources in the architecture. Fbdaath conscious, and shaped by systematic and rational, scientific and configure a regular basis. The study concluded that the architect thought the Arab-Islamic content holistic, autonomous, and Mahs his abilities, his presence in spite of the contemporary attempts absent, but lacks recognition and lacks employment of Arab academics and practitioners.